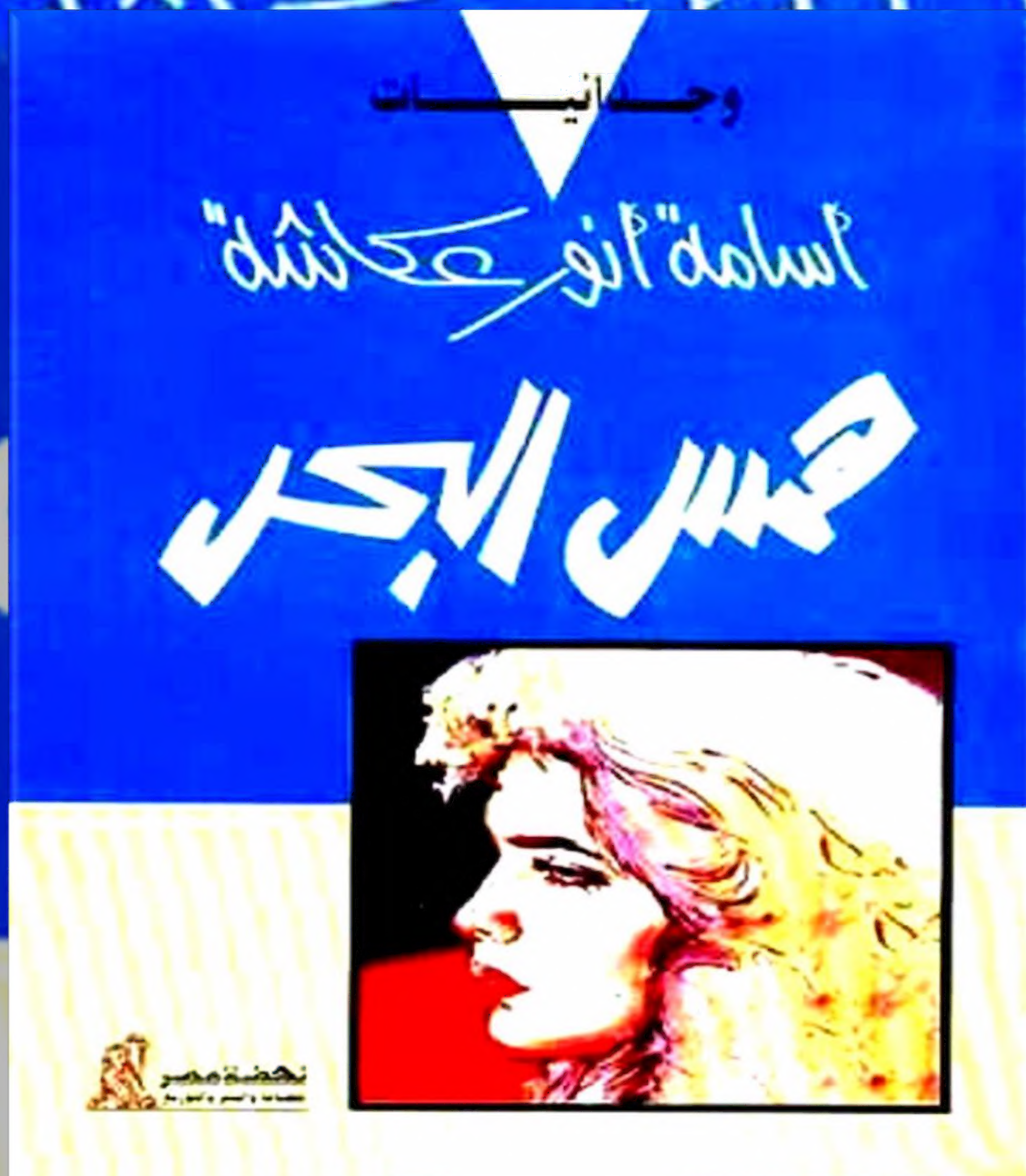


مع تحياتي : علي مولا



إهداء

إلى

«بنيلوبى»... حورية الليل الجالسة

فى شرفة صيفية تغزل وتنتظر...

شروق الفجر فى حضن البحر...

اسامة الفخري كشك

تقديم

معك - عزيزي القارئ - أواصل رحلة الوجدان ... أكشف لك فيها عن مشاعري ... تلك التي تدب تحت الجلد بعيداً عن واقعية « الوعي » .. تنمو وتزهر في منطقة من النفس لم تكتشف وتبدو كلما خطونا فيها أشبه بالمدن المسحورة .. تحرسها الألغاز والطلاسم ...

فالنفس البشرية مثلها مثل « طيبة » القديمة وقد أوصد أبو الهول أبوابها في وجه « أوديب » لا يسمح له بالولوج إلا أن يجيب على السؤال « اللغز » .

لكن لغز أبي الهول أسهل كثيراً وأيسر مقالاً من ألغازنا المستترة في أعماق العقل الباطن ...

إذاً فلا أطمع في أكثر من محاولة اقتراب ... دقائق خجلى على الأبواب المغلقة لعلها تلقى صدى على الجانب الآخر ... فتوقظ بعضاً من الأسرار الهاجعة هناك فتوارب الباب لينفذ منه خيط من نور ...

وقديماً قال سقراط جملة الجامعة المانعة ... جملة هي الحكمة بعينها ... « اعرف نفسك » ... وما أشقها من رحلة للمعرفة ... وما أجدرها بالمحاولة

أسامة الزعكاكشة



لم يرها أبداً كما رأوها! ..

... سمع همساتهم ... لمح نظراتهم ... ودائماً كان
يبتسم! ...

أسرّ له صديقه في أذنه :

- الحب أعمى! ..

كان يعرف معنى ما يقال عن عمى الحب! .. أن ترى فقط
الوجه المضيء للمقمر وتغلق عينيك عن وجهه الآخر ... وترفض
حتى أن تنظر للوجه المضيء من خلال منظار مقرب يريك التلال
المستوية الجرداء والبهثور المتناثرة على السطح الخادع ...

همس يرد على صاحبه :

- لم يعرفها أحد منكم مثلما عرفتها! ... وما ترونها فيها هي
الملامح التي تحب هي أن ترونها فيها أرادت دائماً أن تحمي نفسها

من اقتحامات الآخرين وكانت تعرف أن الحقيقة تبدو في الضوء
كالتماعات السراب وأن العيون ليست إلا مرايا الظنون وأنكم لن
تصدقوا ما يبدو واضحاً فأثرت أن تضع قناعاً يشغفكم أن تروا فيه
ترديداً لأوهامكم!

... لاحت على وجه الآخر ابتسامة باهتة وغمغم في فتور...

- ولم لا يكون القناع هو ما تواجهك به؟ ...

- لأنى أبداً لم أنظر إليه من خلال وجهها! ... من لحظة اللقاء
الأول تسللت المشاعر جسراً إلى الأعماق ... وهناك فاجأ كل منا
صاحبه متجرباً لا يستتر ولا يتخفى ولا يتحمل في انتظار لقاء ...
كانت اللحظة البكر التي تولد من رحم الصدفة دون أن تتخلق
قبلها جنينا ... وأنبت الميلاد طفلاً قد رضع الحقيقة غفلاً ولم يعد
في حاجة للبحث عنها في عيون الآخرين ...

... بنظرة طويلة كابيه احاطه صديقه ... ولم يتكلم ...

وكانت النظرة تلك أشبه بنصل حاد ينغرس في لحم الكيان
الذي رسخ في الأعماق ..

... كانت تمتلئ حزناً وإشفاقاً أصاباه بهلع خفى ...

- لا تنظر لى هكذا ... فقط تكلم! ..

- ماذا تريدنى أن أقول وكلماتى تصنع الدوامات فى بحيرة
سكونك وسلامك؟

أنت يا صديقى تتكلم وقد وضعت أصابعك فى أذنك
وأغمضت عينيك ... وتطلب منى أن أتكلم ... ربما فقط

لأعطيك جسراً تعبر عليه إلى شاطئ أمنك الموهوم فأبق على ما
تريد ودعك مما نقول!

هم الصديق بالانصراف فأمسك بيده وكأنه يقبض على
جمرات مشتعلة!

- لن تمضى قبل أن تلقى بكل ما فى جعبتك! ..

- وما يضيرك فى أن أستبقى لنفسى حديثاً تراه لغراً؟ .. وما
قيمة أن أرسم لك صورة لا تصدقها وتراها قناعاً تخفى الحقيقة؟ ..

- دعنى فقط أسمع! ..

- بل دعنى أنت لشأنى! ... وأقسم أن لا أحدثك بكلمة فى
هذا الأمر ..

... ومضى الرجل ... وتركه ...

تركه غير ما كان ...

وجاءت هى ... تخطر كالظبي ... وفى عينيها تشرق آلاف
النجوم ... وابتسامة حب حانية تشرق من ثناياها ... همست
بكلمة عن شوق مخبوء ...

وصاح هو بها ... انزعى القناع! ..

... فى اللحظة ماتت كل الأشياء ..

كلمات من دفتر قديم :

نفقد الإحساس بالجمال إذا

خلت حياتنا من القبح ... فطوبى

لصانعى القبح لأنهم يؤكدون قيمة الجمال

«ماتيو أرنولد»

ذات صباح

أذكر أنى ذات صباح كنت وحيداً! ..
شمسى لم تشرق ذاك اليوم ... كان الغيم يدثر جسد
الكون! .. ونثار المطر يرصع نافذتى ..
وهمست لنفسى ... شىء ما قد يحدث بعد هنيهة ...
أدفأت يدي بقدح المشروب الساخن ... ونظرت عبر زجاج الشرفة
نحو البحر ... فاجأنى صمت الأمواج ... بل موت الأمواج ...
لم تتراعى فوق الشط غلالة موج ... لم يخفق صدر الماء ...
تقرزم ذاك العملاق الأزرق ... صار بحيرة ... صار بساطاً من
زيت! ...
رددت لنفسى أن سكوناً يسبق صخب الأنواء ... فى ركن من
أركان العين يلمع ضوء ثم : فيب ... كفنار مهجور بجزيرة أشباح
منسية ...

أشعر أن اليوم غريب! .. وأن اللحظة حبلى ...
يشتعل فضولى .. أصلب عينى هناك ... عند المفترق
الصخرى ... شىء ما قد يحدث بعد هنيهة! ...
كنت قدما أعشق غضب البحر ... لكنى اليوم أخاف ...
أشعر بدبيب الزمن اللص! ..
خطوات تتلصص خلف الباب .. أنفاس تتردد من ثقب
المفتاح ...
هل كان الموعد ذاك اليوم ... ذات صباح؟ ..
فى الليل السابق أشعلت المصباح .. ألقيت الأخشاب بجوف
النار .. وفتحت كتابى ...
هل أقرأ ... أم أكتب ... أم أنتظر الكلمات؟ ...
أجابتنى تلك الزهرة بين الصفحات ...
أوراق الورد قد ذبلت ... طبعت قبلتها بين سطور العمر
الراكض ...
مازال العطر حروفاً تنطق بالآهات ...
ورسالة حب مطوية ... تجعد طرفها بدموع فراق ..
ورويت القصة لأشباح تتراقص فى لهب النار ...
شاركنى الفجر الضيف بكل الأسرار ... أو سدنى دفناً
مختزناً من صيف حار ...

ألقيت برأسي فوق ذراع الساعات ... حتى أيقظني حلم مبتور
المعنى .. ذات صباح ...

لم أسمع طرق الباب ... شيء ما قد حدث هناك منذ
هنيهة ...

صوت نباح! ...

كان الجرو الأعجف يعلن قرب اللحظة ..

دقات ثم صياح ...

صوت الرجل المعهود ...

ألقيت القدح الساخن ... وفتحت الباب ...

أعطاني رسالة ...

فضضت غلافاً أزرق ... نفس العطر يعربد ...

لكن الورقة بيضاء ... لا تحوى كلمة ...

لم أحزن ... يكفي أن هناك من تجلس مثلي ... تتذكر ...

ذات صباح ...

كلمات من دفتر قديم :

المرأة تكره الرجل الكذاب

خاصة إذا أقسم لها أنه يصدقها

«جورج برناردشو»

مهاجر!

... أشاح بنظرة إلى عتمة الرماد في الأفق ... وخرج صوته
كسيراً مهزوماً :

- هاجرت إليك ... من أجلك تركت مدينتي القديمة ... والآن ...

- والآن ... تهاجر عني وتترك مدينتي ... وتنزل رايتك من
صاري حيائي! ..

- تعرفين أنني أفعل هذا من أجلك بعد أن اكتشفت أنني
استبدلت حقوق الغازي بحقوق المهاجر ...

... عاش الحلم قصيراً ... يمزقه الصراع! ...

يوم خطى إلى تخومها ... هناك ... ذات ليلة أنجبتها الصدفة
من رحم اللا توقع! ...

كانت الخطوة الأولى تنتشي برحيق زهرة صيف تتضوع بعبير
الأمل الأخير ...

وكان الظماً يحرق جوفه ... فترك نفسه للنبيح يرشف منه
أكسيراً للنسيان ..

نسى كل ما خلفه في مدينته القديمة وتشاغل عن كل الخيوط
التي تربطه إليها ...

اختار أن يعيش اللحظة مهاجراً ... وأرادها أن تهاجر معه ...

رسم أمام عينيها صورة الأرض الموعودة ... هناك ... حيث تتبرعم
زنايق الحقول البكر ... وتقتلع أعشاب الماضي لتلقى في الهباء ...

ما كان يفصلهما عن الفردوس غير خطوط الطول ...

الزمن غير الزمن ... والرحلة تخترق البعد الرابع على متن
سفينة الأشباح ...

وخط الوهم يتأرجح في الأفق على مرمى حجر ... على مرمى
كلمة ...

والكلمة شفرة سكين حاد ... يقطر منها الدم ...

كان تشمل من قطرات الحلم ... وتترع كأساً مثقوبة ...

وحين تردد في ركوب الزورق قفزت هي إلى الشاطئ ...

مدت يدها تدعوه ...

جذبتة خيوط الأمس إلى مدينته القديمة ...

أحاط جبينه أكليل الشوك ورفع إليها منديلاً بلله الدمع ...

محرمه بيضاء ... تعلن الاستسلام ...

شرطة أرض الهجرة لاتسامح ... وجيوبه لاتحوى صدك

عبور ...

- تتركني في وطن الغربة وتعود للمدن المهجورة؟ ...

- لست أنا هذا العائد! .. العائد بعض حطام ... مابقي من
الأشلاء ..

كانت تلك القطرات الحمراء تنزف ... تتساقط في
المضمار ...

والفرس الجامح تخسر كل الأشواط ...

ونلوح هزيمة عمر مازال يعيش ...

والرأس المطرقة على صدر اللحظة ... تثقل ... تتحجر ...
تتحول مسخاً ...

وديار الهجرة تتباعد ... تتمزق ...

ما عادت غير سحابات في صيف حار ...

تتبخر عدماً في الأرجاء ...

لاتسقط حتى قطرة ماء ... تروى غلة من هاجر بحشاً عن
نبيح ... والنبيح سراب!

كلمات من دفتر قديم :

أعطني عصا ونقطة ارتكاز

أحرك لك الأرض كما أشاء

«أرشميدس»

طفل

غضبت حتى احمر وجهها واختفت عيناها... أما هو فقد
علت وجهه ابتسامة!..

التفتت إليه تكاد تشتعل في وجهه...

- كيف تتركهم يفعلون بك هذا؟..

اكفهر قليلاً رغم ابتسامته التي مازالت معلقة... لم يفعلوا
شيئاً... هم فقط يمزحون...

- المزاح البريء لا يمس الكرامة! لقد سخرُوا منك!..

- لا تحملى الأمور أكثر مما تحتمل... إنهم أصدقاء قدامى!..

- منذ متى تصادقهم؟..

- منذ كنا زملاء في مرحلة الدراسة الابتدائية!..

- وطوال هذه السنوات يمازحونك بهذه الطريقة؟!..

- كنا نضحك دائماً...

قالها وقد تلاشت ابتسامته وبدت عليه حيرة سابتة!.. نظرت
إليه طويلاً وقد انفطر قلبها... ثم همست بلهجة أقل حدة...

- ولماذا لاتعاملهم بالمثل؟.. لماذا لاتسخر منهم كما يفعلون بك...

- لا أعرف!... حاولت ذات مرة فسخرُوا منى أكثر وضحكُوا
طويلاً... ربما تعدوا الحدود يومها!

- وماذا فعلت؟..

- غضبت منهم!..

ثم استنطرد وكأنه قد وجد أخيراً الحجة التي يبحث عنها:

- تعرفين؟ لقد تركتهم يومها بعد أن صارحتهم بأننى سأقاطعهم!
وغبت عنهم أياماً لكنهم لم يتحملوا... فسعوا إلى ورجونى أن
أصفح عنهم...

هزت رأسها بئس وغمغمت: وطبعاً منحتهم الصفح؟..

- هل جربت يوماً متعة الصفح؟.. لقد طفرت دموعى تأثراً...

صمتت طويلاً وقد عقدت حاجبيها وغرقت نظراتها فى الأفق
الغائم... كانت تعرف أنه رجل طيب بكل ما فى المعنى الشائع
للكلمة... ولكن... هاهى تراه وسط أصدقاءه وقد اتخذوه مادة
لهذرهم وسخافاتهم... وراح كل منهم يتفنن مبادياً الآخرين فى
ابتداع لون من ألوان السخرية ليضحجوا جميعاً بضحك ماجن
وبتعليقات تتمحور كلها حول سذاجته وغفلته...

والمشكلة أنها تحبه!..

أحبته منذ اللحظة الأولى... وأدهشت كل صديقاتها... «ماذا
جرى لعقلك؟»

وهي لا تستطيع أن تكف عن حبه ولا أن تهجره... فقد أصبح
بالنسبة لها التحدي الأكبر والرهان الذي يجب أن تربحه...

وفي يوم... اجتمعوا حوله... واستفزه أحدهم بأنه لو استطاع
أن يتسلق الشجرة القصيرة ويجلس فوقها فسيتوجونه ملكاً...
ويمثلون دور رعاياه وله أن يأمرهم بكل ما يريد...

راقته اللعبة فأسرع رغم تحذيرها - إلى الشجرة يتسلقها...
وبعد لحظات انفجرت الضحكات كالصراخ... لقد كانت الشجرة
مليئة بعشوش الزنابير... التي انبعثت تهاجمه بكثافة
مرعبة... وقفت تجار في وجوههم صارخة... تنعتهم بكل ما
أفرزه غضبها من صفات... وطأطأوا هم رءوسهم خجلاً...
والتفتت إليه فوجدته يتحسس أماكن اللدغات وهو يضحك...
وبعد لحظات سقط مغشياً عليه...

وفي المستشفى وهم يداوونه من لدغ الزنابير..

نظر إلى وجهها المتجهم.. وهمس لها...

- لم يتعمدوا... أقسموا لي أنهم لم يعرفوا أن الشجرة تأوى
هذه الحشرات الخفية.. ولكن.. أرايت؟ لم أصرخ... تحملت
كل اللدغات القاسية وأنا أضحك... رأيت ذلك الإشعاع المثل
من عينيه ولم تملك بدورها إلا أن تضحك.

كلمات من دفتر قديم:

أزف البين وهل كان النوى يا حبيبي غير أن أغلق باب
مضت الشمس فأمسيت وقد أعلنت دوني أبواب السحاب
«إبراهيم ناجي»

قَدَرُ!

لم يكن ما حدث اختياراً!.. فنحن نغمض أعيننا كل ليلة دون
أن نختار أحلامنا...

الحلم لا يباغت فينبه الوعي... ولكنه يتسلل في غفوة...

وقد لقيتك حُلماً في غفوه!

لم أعرف ساعتها... وكنت قد أوسدت رأسي لصور الليل...
أكان الطارق... زائر حلم أم واقع صدفة... لكنني مددت يدي
وأسلمت قيادي لفارس الأقدار...

لم تكن الرحلة في الحسبان!

لم يكن الموعد منظوراً... لم أقرأ خطأ في كفى...

حتى ذاكرتي... كانت بعضاً من عيش الماضي... تتردد
كالأصداء في يوم عاصف... لا أعرف إن كانت صوتاً للريح أم
عزفاً للأوتار المتطوعة...

لم يكن الصوت قريباً ...

لم أتبين كنه الكلمات ! ...

لم أتذكر عدد السنوات ... كنت أعيشك فصلاً يجمع كل
فصول العام ...

وأراك ... ربيعي وشتائي ... صيفي وخريفى ... وأحصد
فيكى موسم الأشواق المسروقة! ...

لم يكن عاماً ... كان عمراً ... ولد ذات مساء ألفيته رضيعاً خلف
الباب ... أخفيته فى أحضانى فرحاً يشرق بعد غروب الأفراح ...
لكن الغفوة لا تفهر زمناً! ...

لا تقوى أن تهزم خطو الوقت ودقات الساعات ...

يتربص ذاك الحارس فوق القل ... يرصد كل دروب الحلم ...
يكتب فى سفر ...

عنده خط مسار الضوء وأسرار الظلمات .

وحين يحل الموعد يمسك ناقوس الإنذار ...

قد أن أوان الصحو! ..

- والحلم؟ ...

- يرحل برحيل الغفوة! ..

وتعود الذاكرة المنسية ...

نرجع يا صاحبتى كبقايا جيش مهزوم! ...

نلتق كل جراح الوهم ... نرتشف كل شمالات الحلم الغفوة .

نشرق بالدمع فقصدى ... نتسول كسرة حب ملقية بزوايا
جدار ... حتماً نخبرنا الحارس .. أن يرحل كل منا بغير لقاء ...
يحرمننا حتى نظرات وداع ...

نركع عند الباب الموصد ... نتضرع .. نصرخ ...

ترتد الصرخة ... ترتطم ببندول حجرى ... وتدق الساعة ...
فى نفس الميقات ... الموعد فات ..

والغفوة والحلم الرائع ... محض سراب! ...

والعام الماضى؟ ... والحب؟ ...

ومواسم صبو تناسل المسروقة ...

ما كانت ... بل كانت ...

والفعل بزمان الماضى ليس بفعل ...

فما كان ... غالباً لم يكن .

كلمات من دفتر قديم :

الأمل كالإنسان ... يولد ويعرف

أن مصيره الحتمى هو الموت ... ومع

ذلك ينسى ... ويتسم .

الجريمة .. والعقاب

- كانت جريمة! ...

- أن نصدق أنفسنا جريمة؟ ...

- بل الجريمة أن نراوغ أقدارنا! هي لم ترد بنا خبيراً ... فقط أرادت أن تعبت وحين فرضنا عليها جدلاً غضبت وأبت أن تغفر! ..

لو لم تكن تريد العيب .. والعيب وحدة ... لحققت لقاءنا منذ سنوات .. حين كنت زهرة لم تتفتح .. وكنت أنا مازلت شجاعاً ... ولكنها ألقتنا ... كل في طريق لنسير على الشوك أميالاً تستغرق أجمل سنوات العمر! ثم أدارت كل طريق ليلتقى بالآخر في الزمن الخطأ! ... فالتقينا حين كان من الخطأ أن نلتقى! ..

التقينا على حافة الطريق ... وكان يكفي أن يهز أحدنا للآخر رأسه ثم يمضي مواصلاً خط سيره المقدور ... ولكن هذا لم يكن

ليحقق لأقدارنا متعة اللعب فهي متعة لا تتحقق إلا بمشاهدة الألم واعتصار الجروح حتى آخر قطرات الدم ...

لهذا لم يكتف أحدنا بإيماءة الرأس وابتسامة اللقاء العابرة ... تسمرت أقدامنا عند نقطة الاصطدام! ومن ركن بعيد لم نره انداح ذاك العطر فسرى في عروقنا كنشوة مفقودة بردتها السنوات العجاف ... كان كلانا يتنسم حلمها في مخيلة الجذب والظما ...

تقاطرت من الندى تلك القطرات ذات المذاق الثلجي لتدفع في مسار القلب انتفاضة الشباب الغارب ... فنسينا في سكرة الهوى خيوطاً من فولاذ زرعتها خطواتنا القديمة في أرض الحقيقة فكبلتنا وتوهمنا أننا قد امتلكننا أقدارنا ..

والأقدار لا تمتلك ...

الأقدار تملك ... وتختار ... وترفض أن تقاد ...

لقد وضعنا أحجاراً على رقعتها لتدير بنا لعبتها ... ربما لتمزح قليلاً ... أو تلهو ... أو تنفض عنها مللها السرمدى ...

ولأننا مجرد أحجار على رقعة ... لم نر أبعد منها ... فتحررنا وكأننا نصنع مصيرنا ... وكانت الجريمة ...

نظرت إليه ... نتلمس في نظراته الحزينة بارقاً من أمل يكذب ما يقول ... ولكن الغلالة المترفرقة التي تأبى أن تنفرط دموعاً وتعلقت بجدار الحزن الأخرس دفعت نصلها في القلب ...! وهمست بصوت مذبوح :

- وهل حل الآن موعد العقاب؟

أطرق برأسه وهو يهمس بكلمات تذبل قبل خروجها من الشفاه وتتساقط بين يديها كحصى عاصفة رملية :

- لا مفراً! فهو قانون اللعبة! ...

- لم تكن عندي لعبة! كانت إعصاراً استلب كل مابقى من حياة! ...

- وكانت كذلك عندي ...! وتلك جريمتنا ... أن نغفل عن المفارقة ... ونصدق أوهامنا ... ونحيل اللعبة جداً! ..

... فى صدره تمزقت النياط والأوتار والأنفاس ...

... وفى عينيها ماتت كل الأيام الموعودة ...

وأحنى كلا منهما رأسه ...

ينتظر العقاب ... ويهيئ عنقه للجلاد ...

كلمات من دفتر قديم :

وانى وأن كنت الأخير زمانه

لأت بما لم تستطعه الأوائل

«أبو العلاء المعرى»

عام

وقد مر عام! ... ثم ... ماذا؟ ...

لقد مرت قبله أعوام وأعوام! وتراكضت الأيام تلو الأيام ...
لا جديداً! ...

الحقيقة يجب أن تكون صارمة ... صماء ... تقف وحدها ...
لا تتعلق بشيء مهما تعلقت بها الأشياء ... جبل شامخ صامت فى
صحراء وتحوطه الرمال ولا يحتاج إليها ... لا يرنو إلى السراب لأنه
لا يظماً ... لا يعبأ بالعواصف ... لأنه لا يهتز ...

«والحقيقة هى أن العام مجرد عام ... مجموعة من الأيام
تتجاوز وتترافد لتصنع تلك الخدعة التى نرقص على إيقاعاتها
الجوفاء ...» .

توقف القلم فوضعه جانباً ... أشعل سيجارة وخرج إلى
الشرفة ...

تنفس بعمق ثم أطلق زفيره من صدره وكأنه يتخلص من
إحساس الزيف الذى جعله يكتب تلك الكلمات ...

ماذا تريد أن تقول لها؟ ...

أن العام مضى ككل الأعوام؟ وأن افتتاحها أسوارك لم يمن لك
شيئاً؟ ..

تعلم أنك لو قلتها فقد كذبت! ..

وتعلم أن العام لم يكن كأي عام ...

فى قلب العادة والملل والتشابه تكمن بذرة حلم! وكان الحلم يراودك
كشعاع أخير يلمع فى نهاية يوم مثقل بالآلام وبالمرارة ... وكنت تغمض
عينيك بعد غروبه ليظل هناك بين الجفنين مغروساً فى الحديقة! ...

خبرنى ماذا فعلت بكل الأعوام؟ .. ماذا صنعت بيوم واحد من
أيامك؟ ...

- لم أصنع شيئاً!

هتف يرد على نفسه! ...

هنا فى نفس الشرفة مع إطلالة فجر! كانت تقف هناك ...
تعتمد بيدها فوق السور ... تزيحه لتقترب ... لتتسرب فى المسام
الظمأى رتاً يزرع فى الشريان رحيقاً أخضر ... يورق فى
القلب ... يتدفق شلالاً من زهر ...

كانت ليلة ... كانت خطوة ...

عرفت خطواتك ملمس درب لم تطرقه سنوات العمر ...

صحبت عيناك مسير نهار لاتغرب فى آخره الشمس ...

وتوالت أيام العام نهاراً بعد نهار ...

والآن ... ماذا تكتب؟ ..

هتف يرد : كلمات وداع!

تسألنى ولماذا الليلة؟ ...

الليلة كانت موعدنا ... يكتمل العام لنراود عاماً آخر ...
وهاهى لم تأت! ..

- لم يمض الوقت ... فلتصبر! ..

- الفجر يطل ... وأعرف أن الموعد قد فات ...

عاد إلى الأوراق ...

أمسك بالقلم ... وراح يواصل فلسفته ...

فالعام مجرد عام ... والأيام جزء من خدعة! ..

والزمن مراوغ لاتهزمه غير الأحلام ... فلنملاً جعبتنا برؤى
الأوهام ولنحتضن الأشباح ...

فالطيف يجسد أحياناً ما ترسمه أمانى المحال ... والسراب يظل
حقيقة مادمت لاتخطو إليه ...

ابق مكانك واحلم ... تلك حقيقة ... أو فى الأغلب بعض هراء ...

كلمات من دفتر قديم :

تمرف الأحمق باختياره متى ينضب

والذكى باختياره متى يصمت

والحكيم باختياره متى يتكلم

عراف!

رحلة قصيرة لم تدم أكثر من ساعات!

تحديداً من قبيل الفجر إلى ضحى اليوم التالى! فقد أغمض عينيه على ذكريات اللقاء المترع برحيق الأحلام ونشوة الكلمة واللمسة وعذوبة الدمع حين يتفجر ينبوعاً من سعادة تقطر فى الفم مذاق الشهد ...

وخلال ساعات النوم القصيرة كان يتأرجح على حافة تلك اليقظة الوسنانة يحلق فيها بجناحي طائر لم يكد يتحرر من الأسر ليشق جوزاً من فضاء تغمره الشمس ..

لم يكن الشعاع الدافئ الذى تسرب من بين جفنيه هو ما أيقظه ... بل لعله استسلم له ليجفف مابقى من آثار الدمع ...

كان الصوت هو ما أيقظه ... ذلك الرنين المتقطع الذى استمر بالحاح رغم محاولته كى يتجاهله ... أحس بخطورة خفية تتردد فى ذبذبات الصوت المنذر ... فالتقط السماعه ...

جاءه صوتها يبكى ... «لا بد أن أراك الآن» ...

لم تشأ أن تذكر له شيئاً يبدد مشاعر القلق والتوجس التى أيقظته على مرارة تلذع جوفه ... ولكن إحساساً غامضاً داهمه كموجة عالية ..

شئ ما ينبض ومضاً فى أعماقه ... يضىء فيضاً من ألوان حمراء ... ويبدو وثيق الصلة بنبوءة قديمة ...

النبوءة ولدت منذ البداية .. وصاحبت تلك الليالى المتعلقة من ربق الواقع وحتمية المصائر (انبعثت فجأة كالإلهام ... ستأتى لحظة النهاية) ...

الكلمة وحدها ... ظلت تشبح أطرافه رعباً ... ولم يكن بمقدوره أن يراوغها أو يتجاوزها فعاشها بأمل أن يطاوله الزمن أو يغفل عنه فينساه ... حتى داهمه الرنين مع شمس الضحى! ... ساءل نفسه وهو يقود سيارته فى الطريق إليها (لماذا الآن؟ ... ما الذى يجعلك واثقاً إلى هذا الحد من اقتران الدعوة بالنبوءة القديمة؟) .

ولم يجد جواباً للسؤال .. وجد فقط يداً أخرى تعتصر شيئاً فى صدره لدرجة الألم الخائق ... فراح يلعن نفسه ... (لطالما اسخط الآخرين ونفسوا عليه براعته فى استقراء المستقبل ... حتى لقبوه بالعراف ... وهاهو الآن يتفجر سخطاً على نفسه إذ يتوقع ما سوف يحدث ...) .

كان الموعد فى نفس المربع القديم الذى شهد لقاءهما الأول ... هناك عند المفترق ...

لماذا أصرت هي على المكان؟ ...

أجاب على نفسه : لاشك أنه إخراج المشهد الأخير ...

كانت تجلس في الركن المعهود ... وعلى عينها تلك النظارة
الشمسية الداكنة ..

وكان هو يكره تلك النظارة ... ولكنها تعد لمسة ضرورية تكمل
اللوحة ...

تشابكت أصابعها في تشنج ابيضت له الأنامل ... همست :

تنزوج اليوم أو نفترق إلى الأبد ...

أسمع بقية ما استطرد من حديثها ... كان يسمع صوتاً
آخر ... صوت ضحكة ترن في صدره ... (النبوءة تتحقق) ...

الضحكة تصعد سريعاً إلى وجهه ... يرتج بها كل جسده ...
فهبت غاضبة ... وابتعدت بخطوات عصبية ... ووجد نفسه
يتنبأ مرة أخرى ...

- ستتظاهر بالثبات لحظات ثم لا تلبث أن تنطلق خلفها ... أنا
أعرفك! .. أنا أعرفك! من قالها؟ ... سقراط؟ .. لكن سقراط
قال : اعرف نفسك! .. فهل عرفت؟ ربما! ..

كلمات من دفتر قديم :

الاعتراف بالخطأ .. ترف يمارسه

الأقوياء .. وإذلال يرغم عليه الضعفاء

ثلال

كانت آخر محطة في الرحلة ... نياجرا ...

بعد جولة شهر كامل طاف خلالها بمعظم الولايات من نيويورك
شرقاً إلى سان فرانسيسكو غرباً ... بقى له يوم ... يقضيه في
نياجرا ثم يعود مع المساء إلى نيويورك ليركب طائرة الفجر عائداً إلى
الوطن ...

فوق الجسر الطويل المطل على ملايين الجالونات من الماء الهادر
الصاخب ... وحيث يتناثر الرذاذ كحبات رمال تدفعها رياح
صحراوية عاصفة ... وقف وقد ارتدى ذلك المعطف العراقي من
البلل .. ابتعد قليلاً عن رفاق الجولة ... تذكر فجأة أنه حتى الآن
لم ير معابد الأقصر ... ابتسم لنفسه في خجل وقرر بداخله
(سأفعلها فور رجوعي) ...

كان الهدير الصاخب المدمدم يصك سمعة ويصم أذنيه ورغم

ذلك فقد سمعها تهتف باسمه ... التفت نحو مصدر الصوت ...
كانت المسافة لا تتيح له أن يتبين الملامح ولكنه عرفها ... إنها هي
بلاشك .. نددت عنه أهة استبعاد الزمن وهي تقترب .. كانت
ترتدى معطفاً أصفر ..

وخصلات شعرها تتطاير بقوة ... وبعد لحظات توقفت عند
بداية المتر الذي يفصله عنها .

لم ينطق أحدهما وظلا ينظران كل للآخر بتعبير الفضول الذي
يتساءل عن رد الفعل الحقيقي داخل كل منهما حال رؤيته للآخر .

هو يعرف بالقطع ما بداخله : فكل المزيج الغريب من مشاعر
الخجل والتدم والحنين ... أما هي فتبدو أمامه لغزا بإشراقه وجهها
المتوردة وعيناها الطافحتان بدهشة وفرحة حقيقة هل كان كلا
منهما يبحث عن الكلام ... فلا يجد؟ ربما ...

لا بد أنه غمغم بعبارة ترحيب ... ولا بد أنها همست ترد
عليه ... ولعل أحدهما أشار إلى عدم مناسبة المكان للحديث ثم
وافقه الآخر ..

في النهاية وجدا نفسيهما وقد ابتعدا كثيرا ... أصبح هدير
الشلالات بعيداً باهتاً كذكريات طفولة بعيدة ...

كانا في شبه مشرب للقهوة داخل الحديقة الوارفة ... يجلسان
متقابلين وكلاهما يعبث بشيء في يده ليتغلب على توتره ...
سقطت منها القداحة التي طفقت تشعلها ثم تخمدتها ... وانحنيا
في نفس الوقت .. فاصدمت رأسيهما ... وحين اعتدلا كانا
يضحكان ... ثم انتهى الضحك أخيراً ...

- ماذا تفعل هنا؟

- مؤتمر للتبادل الثقافي وجولة سياحية على هامشه ... وأنت؟ ..

- أنا هنا منذ خمس سنوات ... مع زوجي! ...

بدا أنها تضغط على الكلمة الأخيرة بشيء من التشفى .

- تهنتى وإن كانت متأخرة ..

لم تعن بالرد على التهنئة واستطردت .

- تزوجت بعد أسبوعين فقط من رسالتك إياها! ... رجل عظيم
يشغل وظيفة هامة في الأمم المتحدة! لم يعلق ... وأردفت بعد
لحظة صمت : أمازلت تجيد كتابة الرسائل؟ ..

أيقن أنها انتهزت الفرصة لتثار لنفسها من الجرح القديم ..
واكتشف محبطاً إن الإشراف والفرحة كانتا فقط من أجل الصدفة
التي أتاحت لها أن تنتقم ...

ولم يشأ أن يقاطعها ... اكتفى بالصمت والنظر إليها وهي
تندفق في حديث طويل من طرف واحد ارتعدت خلاله شفتاها ..
وتشابكت أصابعها .. ولاحت دموع الحنين في عينيها ... كانت
تبدو له كبطلة في مشهد حُجب صوته ... ولم يفق إلا عند
عبارتها الأخيرة ..

- لم تملك الشجاعة ولم تتحمل مسئولية الرجل ... وحفاً .. لم
تكن تستحق! ..

رسم ابتسامة عريضة ليمنع بها تقطيعه الألم ... ثم نهض

ووضع نقود الحساب على المائدة ..

وأحنى لها رأسه ثم مضى ...

عاد يواجه الشلال ورزاز الماء يصفح وجهه فيختلط بشيء
كالدموع ...

وبقيت هي تعض على شفقتها ودموعها تنهمر ... بلا
صوت ... وحين خرجت ... أطلقت لصوتها العنان ... ولم
تكن تخشى أن يسمعها أحد ... فصوت الشلال يحجب كل
الأصوات .

كلمات من دفتر قديم :

طوت الأرض من طوى الأرض حياءً وعلاه من كان بالأمس دونه
«إيليا أبو ماضي»

إمبار!

التوت قسّمات العالم واكفهرت في وجه البحر تجاعيد
الغضب ... وأسفرت الطبيعة عن محياها الحزين ...

لم تبك ... لم تتجمع دمة واحدة في مآقيها ... لكن القلب
يمور بهزيم رعد كسيح وفي الطريق حيث يجاور البحر المدينة ...
سارا بجوار السور الحجري ... في صمت يخترقه صوت البحر
والريح ... وإيقاع الخطوات المرتبكة النائية ...

انشغلت هي بمحاولة كبح جماح شعرها المتطاير في ثورة تواكب
ثورة الريح ... ووضع هو يديه في جيبي سرواله التماساً لدفع
منخبوء أو ربما ستراً لتوتر يعصف بأعصابه ...

التفت إليها ...

- أتقولين شيئاً؟

- لم أفه بحرف! ...

- ظننت أنني سمعت صوتك! ..

- لعله صوت البحر والرياح ...

ولفهما الصمت من جديد ... وبعد أن اعتقلت شعرها داخل «الأيشارب» راحت تضغط جسدها داخل المعطف وهي تحاول أن تربطه بحزامه وتفشل مرة بعد أخرى حتى اكتشفت آخر الأمر ضياع «الزر» ... تجمدت في مكانها والتفتت له بعد أن سبقها بخطوة ..

- انتظر ...

توقف واستدار ... أدهشه تعبير السخط على وجهها ورنه اللوم في صوتها ...

- عرضت عليك أن نستقل أي عربة وأوصلك إلى منزلك فرفضتي ..

- أنا لم أتعب .. ولكن زر المعطف سقط في الطريق ...

- يمكنك أن تستبدليه ...

- لن أستطيع الرجوع بالمعطف دون الزر ...

- دعك من المزاح فليس هذا وقته!

- أنا لا أمزح!

- وأنا لا أفهم! ما الخطأ في سقوط زر معطف من أي إنسان في أي وقت .

- لم يكن زراً عادياً ... لقد وضعته في إطار من الذهب ونقشت عليه الحرفين الأوليين من اسمي واسمك! ..

اختنق صوتها وارتعشت نبراته في الكلمة الأخيرة ...

نظر إليها طويلاً ... كان رزاز الموج المرتطم بالسور الحجري قد بلل وجهها بقطرات بدت كدموع تغسل الوجه كاد يصف لولا أن العينين جافتان تماماً ...

- وما قيمة اسمي لديك بعد كل ما حدث؟ ..

- هي ذكرياتي مهما كرهتها ...

وقفا صامتين ... متواجهين ...

لم يعرف أحدهما كلمات أخرى ليتفوه بها ...

وكانت السحب المتكاثفة قد ازدادت سواداً ... وانهمر المطر كسيل غاضب يضرب كل شيء ...

وبسرعة ... خلعت معطفها ثم غطت به رأسها ورأسه ...

تجاورا ومضيا متشابكي الزراعين ... وبيد كل منهما الأخرى أمسكا بطرفي المعطف ... وهمس لها ...

- فلنعد عبر نفس الطريق لنبحث عن «الزر» .

انقطعنا عن ملتقى البدايات ... والتقىا في مرابع أخرى ...
فجرى على الحب ما يجرى على سائر الأشياء ... وبعد شهور
قليلة تحطمت الكئوس التي ملت الأصابع حملها ... فأسقطتها ..
صارا يلتقيان نعم .. ولكن ... تباعدت المواعيد! وبعد أن كانا
يكتفيان أحدهما بالآخر ... راحا يبحثان عن الآخرين ..
أدلى لها ذات مرة بملاحظة عابرة ...

- صديقتك «د» .

- ما بالها ...

- لا أشعر تجاهها بالراحة ...

- ومالك بها ... هي صديقتي أنا ...

- سلوكها تشوبه مأخذ تتردد على ألسنة الناس!

- بغضب جامع أجابت : فلتقطع ألسنة الجميع ..

- لكنى أرى ما يرون! ..

- إذا أصابك العمى! ..

وانفجر أول شجار حقيقى بينهما لتتدفق منه شلالات المرارة
والعناد والكبرياء الجريح ... وحين هددها بالاختيار بين صديقتها
وبينه ... كانت الأمور تسير فى اتجاهها المأساوى! ..

- تريد منى أن أضحي بأعز صديقاتى من أجلك .. حسنا ..
سأفعل .. بشرط أن تقطع أنت أيضا صلتك بصديقتك «م» .

وعد!

قالت له بالأمس : سأجىء .. فى نفس الموعد وفى نفس
المكان ... وصدقها! كان دائماً يصدقها ... رغم ما قالوه عنها ...
ورغم ما اتهموها به ... كانت دائماً تثبت له الضد! لم تخلف
موعدته يوماً ... ولم تتأخر أكثر من دقائق ... ربما تفجرت المشاكل
بينهما أخيراً ... وربما فترت التيارات الساخنة وبردت
الجمرات ... وربما ... وربما ...

ولكنها حتماً ستجىء ...

فى ذلك المكان المطل على المدينة فوق سطح الربوة ... وتحت
الخميلة المزهرة التى يسرى عبقها مع النسيمات الباردة كدفقة عطر
فى شعر غادة حسناء ... هنا كانا يلتقيان ... وظللت الأفرع
الخضراء بذرة حبهما الوليد ... حتى شبت ونمت فارتحلت بعيداً
تبحث عن مغانى الشباب الحارة ..

- المسألة ليست تبادلاً لطرد السفراء بين دولتين ...

- المسألة أننى لا أحب صديقك .. وأنت لا تحب صديقتى ...
فالعادل إذاً أن أخسر وتخسر! ..

كانت تعلم أنه لا يستطيع أن يخسر صديق عمره .. وبالتالي
فلم يكن هناك اختيار

.. تصاعدت المشاحنات .. وتباعدت اللقاءات ...

وبالأمس طلب منها أن يلتقيا ليحس كل الأشياء ..

وحل الموعد ولم تحضر ...

ومضت بعده ساعة ولم تحضر ...

رواده قلق أن يكون قد ألم بها عارض في الطريق ... فذهب
ليطلبها على الهاتف ولكنه توقف في منتصف الطريق .. فقد تذكر
فجأة اتفاقهما القديم ...

- إذا أحس أحدهما بفتور مشاعره تجاه الآخر وعجز عن مواجهته فليعطه
موعداً ولا يذهب .. وبعد ساعة على الطرف الآخر أن يفهم الأمر ...

و ... نظر إلى ساعته ... ففهم الأمر ...

كلمات من دفتر قديم :

أما هواك فلم نعدل بمنهله

شرباً وإن كان يروينا فيظميننا

«ابن زيدون»

إمام

كان يعشق المطر! .. ويهفو طوال شهور الصيف لمقدم تشرين! ..
وحين تتكاثر الغيوم القاتمة فى أركان الشمال .. كانت الأوتار
تضطرب فى صدره ... وتبدأ الأنغام فى التوافق حتى تتساقط
القطرات مبشرة بقرب المواسم الديسمبرية .. فتتناسق أجزاء
المعزوفة ...

فى كل ثنايا الوجود تتوزع إشراقات كامنة ... وخلف الأشياء
جميعاً تبرق ألوان من سحر خاص : فى الأرضفة الخالية الجرداء
يبللها الرزاز ... فى الأوراق المتفافزه بلا معنى تدفعها هبات
الريح .. فى النوافذ ذات الستائر المسدلة يتسرب منها ضوء
مرتجف ... فى غيش الماء الكابى ... فى الأبواب المصمتة المغلقة
تطرد حتى هسيس الأمطار ... والدفع المتخيل خلف الجدران ..

يرقص قلبه طرباً حين يطل من نافذته ذات مساء فيستنشق

تلك الراححة التي تنبئ عن عاصفة وشيكة إذ يعرف أن اليوم
التالي موعد تلك الجولة ...

يهجر دفء الصندوق المغلق ، يلبس معطفه القديم ... ينظر عبر
زجاج الشرفة ... يوقن أن الشمس المحتجبة لم ترسل هذا اليوم
سوى حزمة أضواء فضية نبرق في قطرات الماء وتشيع في الأرجاء
انعكاسات اللون الشاحب مغموساً في بهجة حزن يتطهر ...

يخرج للشارع .. يخطو عبر مسارب مهجورة ... يتوجه صوب
البحر ... يغتسل بنبض يهطل من سحب حبلى ... ورذاذ من
صخب الموج ... تنسج خيوط الدفق المثلوجة تغزو كل مسام
الجلد ... لا يابه حين تثقل ملابسه حوله أو يمتلئ حذاؤه بمياه
السيل ...

أحياناً يخلع بعض ثيابه ... يستمتع بمزاق البرد ... ويوماً ...
كان رفاق المقهى يختبئون وراء نوافذها المغلقة ... ورأوه يعود وقد
أمسك حذاءه في يديه ... جحظت أعينهم حين أشار لهم بعينه
عابثاً وأفرغ ماء النعلين على رأسه ...

قالوا عنه كثيراً ... مجنون شتاء ...

في المنزل حين يعود ... يخلع كل ثيابه ... ينشرها أمام
المدفأة ... يشعر بدبيب الحمى ..

أبداً لم يخش الآلام ...

كانت جزءاً من طقس محتوم ...

أروع ما فيها تلك الخطوة يخطوها عبر جدار الوعي ... يتأرجح
في حجره اليقظة إذ تغفو فتسلمه للحلم ...

يؤله جسد مأسور ... وعظام تلهبها الحمى ...

لكن الغيبوبة تأتي ... تسدل ستراً حول الضعف البشري ...
توقظ طفلاً يتوهج في أعماق الشيخ ... يعرف في زمن متأخر سر
الميلاد ... ينهض ...

يبحث عن قلم عن أوراق ...

يكتب ... يسقط جدران العادة والغفلة ... يفتح أجفان
الحقيقة ... يقرأ للحدقة أسفاراً من تاريخ مجهول ...

يدعو المختبئين خلف الجدران ... فلتلقوا بنار الدفء الخادع ...
ولتتجهوا صوب البحر ... ولتمشوا تحت الأمطار ...

... تنداح الحمى ... تبترد القطرات الملتهبة ...

والرأس الحالم يتوسد تلك الأوراق ... والقلم الهاجع يعانق
سطين ...

سقطاً من قطر الدمع ... وسقطاً من قطر الأمطار .

كلمات من دفتر قديم :

قالت : هي تنظر للمرأة طوال اليوم

وأنا لا أقربها ...

قلت : أنت أكثر نرجسية منها ... لأنك تشعرين بأن جمالك
ليس في حاجة لشهادة امرأة؟

ثاني!

قبل أن تتوقف السيارة على مرمى أمتار من البيت المنشود نظر إلي المظروف القديم الذي وضعه على المقعد الجاور... ساعتها فقط أحس بالندم!

ما الذي ورطه في هذا الأمر!

لقد كانت مجرد صدفة حين امتدت يده إلى مكتبة أبيه الراحل! وراح يقلب ما فيها من كتب...

ربما كان الحنين هو السبب... لقد طالعت صورة الأب التي تتصدر جدار الحجرة وخيل إليه أن في نظرة الرجل بريق عتاب... وكأنه يقول له... أترك لك كل هذه الثروة ولا تقربها؟ تذكر أنه لم يلمس كتاباً منها طوال تلك السنوات ولم يخجله ذلك... فالميل لا تتوارث كان الأب كاتباً... لكن الابن لم يكن... حتى القراءة لم تكن من هواياته الأثيرة... تلك الليلة فقط أحس بحنين يدفعه لإلقاء نظرة داخل عالم أبيه... وكان مواعده مع الصدفة!

كتاب صغير يحتل مكاناً غريباً وسط صف من الأسفار الضخمة... لفت نظره فتناوله وفتحه...

من نافذه صغيرة هبت نسيمات تتضوع بالشذى...

والنافذة رسالة زرقاء مطوية على ورده ذابلة تصبرت وريقاتها فالتصقت بالسطور...

افتحمت ذهنه في سرعة البرق تلك العبارة التي حيرته زمناً... قالها الأب وهو على المحفة التي حملته إلى حجرة الجراحة التي شهدت لحظاته الأخيرة...

كان يعرف أنه في طريقه إلى النفق المظلم الذي سينقله إلى هناك...

أمسك بيد ولده وهمس له:

- كل ما لم أتركه لك... أعده لمن يملكه!

... وهذا بلاريب بعض لم يتركه له... حوت الرسالة على ظاهرها رقماً للهاتف.

... لم يضع وقتاً... طلب الرقم... ورد عليه هذا الصوت النسائي الرقيق...

- نعم أنا هي...

- وأنا ابنه... واعتقد أنه ترك شيئاً يخصك وأريد أن أعيده لك...

- أهلاً بك!

أعطته العنوان... وهامو أمام البيت والرسالة في يده! وعشرات الأفكار المثبطة تدور في خاطره... أقلها أن يبدر في نظر هذه

السيدة متطفلاً اقتحم منطقة محرمة من حياتها وفرض نفسه على
ذكريات لا يحق لغيرها أن تمسها قرر في لحظة أن يتراجع ..
واستدار إلى الشارع ... ثم توقف ...

أليست السيدة المسكينة تنتظره بلهفة كل سنوات الحزن
والحنين ... أليست تتحرق شوقاً لتسترد جزءاً عزيزاً من
شبابها؟ ...

ارتد مرة أخرى وطرق الباب ...

من الفرجة الصغيرة انبعث ذلك الشذى مرة أخرى ... وأطلت ...
مدت إليه يداً ضارعة ... وعانقته بنظرة تتدافع الدموع على
أعتابها ...

تذكر لحظتها فقط ... أنه لم يبك أبية حتى الآن ...

وأحس لأول مرة بلوعة فراقه ...

أجهش بالبكاء ... أخذت بيده ... وأراحته على مقعد بجوار
الشرفة ..

هذا مقعده الأثير ... لم يجلس عليه أحد بعده! ...

وجلس أمامه ... همس بخجل وهو يقدم لها الرسالة : لم أقرأها!

أضاء وجهها بابتسامة ... وفتحت الرسالة ... قبلت وريقات
الوردة ... وراحت تقرأها له ... ومعاً ... ظلاه يبكيان .

كلمات من دفتر قديم :

نفقد سعادتنا في نفس اللحظة

التي نتساءل فيها إلى متى تدوم!

فقط

خطوة واحدة تفصل القدم عن الهوة ... خطوة تغري
بالتقدم ... يحركها التحدي ...

ربما تغتفر لمن عصبت عيناه ...

ولم تكن هي معصوبة العينين ... فقد نبهها وأشار إلى الخطوة
وحذرها ...

ومع ذلك أصرت ... وتقدمت ... خطت الخطوة! ...

سألت صديقي وقد جاءني والحزن يملأ عينيه ... فأجاب
بالقصة كاملة ...

كانت تبتسم وهي تحكي له ما نقوله عنه لصديقانها ... طيبته
وقلبه الكبير وحب الغامر ... وظلت تردد نفس الكلمات في كل
مرة ظناً منها بأنها تسعده ... وقد حاول أن ينبهها ... فلو ظل

الأمر في نطاق الكلمات لأسعده فعلاً... ولكن الكلمات كان
تتحول إلى فعل... إلى سلوك تعتمد فيه على طبيته ورحابة
صدره... حذرهما... قال لها أن ما تفعله يستنزف كل رصيد
الصبر... يصنع في أعماقه ثقباً تتساقط منه مشاعر التسامح قطرة
قطرة... لكنها ظنت تحذيره بعضاً من طيبة قلبه فأجابته بضحكة
وبكلمة حب تصور أنها تجرده من أسلحة الرفض... هتفت ملحاً:
- أنكلم جاداً لا أمزح!..

- لكنني أمزح... أرفض كل هموم الجسد... أهرب من الآسى
لرحابة صدرك!..

- أخشى أن يخدعك صبري فتخالني أني ملك يمينك...

- أو لست كذلك؟..

- بالحب أكون!... لكن الحب لدى إرادة... وكما أحببتك
مختاراً يمكنني أن أختار البحر...

- تهجرني؟..

- حين يفيض الكيل!

كانت قشة.. مجرد قشة!.. يخشى أن تخدعها خفتها فتلقها
فوق الأحمال فينقصم الظهر..

كانت خطوة... مجرد خطوة... يخشى أن تغريها بساطتها
فتخطوها وينتهي الأمر...

فلتبتعدني! لاتدعي هذا الظل من الماضي يحجب جزءاً
منك... فيبعدني عنك...

... لم تدرك أبداً ماذا تفعل في صدره تلك القشة...

لم تدرك أبداً أن الخطوة تفضي بالحب إلى الهوة...

ألفت بالقشة... وخطت الخطوة...

... صمت أخيراً وغلالة دمع متحجر تغشى عينيه!

... جفت كل الكلمات... سقطت من شفثيه حطاماً!..

ونظرت إليه... لم أدر بماذا أشير عليه... لكنني ملمت خليباً من
كلمات...

- أنت تحب فلا تتسرع... لن تحتل قرار البحر...

لمعت في عينيه ومضة حزن ساخرة... وهمس بأخر كلماته...

لم لا؟.. القلب الطيب ينسى!...

... ومضى... ربما كان بدوره يخطو تلك الخطوة... نحو الهوة.

كلمات من دفتر قديم:

«الحقيقة... يبحث عنها الفلاسفة..

ويحلم بها الشعراء.. ويجدها

الرجل العادي كل يوم

في الأسواق»

نداء!

لاتفعل!...

لاتتركها! لاتراجع داخل قوقعة الخوف من الآن!...
لاتنكمش تحت درعك الظهرية كالسلحفاة!... لاتتحفى بخيوط
الراحة الحرارية... لاتشرق!...
«م تخاف؟»

كان سؤالاً يلمع فى عين الآخر! يتألق غضباً... يلقى القفاز
بوجه جبان... وأدار هو عينيه بعيداً نحو الأفق الغامض يبحث عن
بعض جواب... همس بصوت يتأرجح على حواف البكاء...

- تعرف مشكلتى!... يؤرقنى خطو السنوات!... أن أحسب
عمر الخطوات!... يؤرقنى أن أصبح يوماً شيئاً من ماض
راحل... أو طيفاً من ذكرى...

- أولم تعرف هذا يوم مددت لها كلتا يديك... تدعوها...
تدفعها نحو الدرب الموعود: ترسم فى عينيها أحلام سعادتها
المفقودة... تهمس فى أذنيها بالكلمات... عن قدر الحب
المترصّد خلف الأبواب!...

- كنت ضعيفاً... أجرى خلف سراب! أعتصر رحيقاً لم يتبق
بزهرة عمر منسية... أتقص كل الأوهام! أغرى العقل بصبوة
قلب لم يسمع دقائق الساعة! لم يشعر بدبيب الأيام!
- تتلمس عذراً للإثم المرزول!... لو كنت شجاعاً لتكلمت...
لوضعت بين أصابعها كل خيوط اللعبة حتى تختار...

- أقسم أنى قد فعلت... وكتبت إليها... وسطوري مازالت
بيد يديها... تقرؤها حتى اليوم!... وفتحت كل جروحي أمام
عينيها... لم أخف قطرة دم...
- واختارت؟

- ضربت بحررفى عرض الحائط! وصمتنى بأنى أبحث عن
درب فكاك!

- لأنك يا صديقى لم تختبر ميقات العدل! وكتبت إليها بعد نفاذ
السهم! وكانت قد جمعت كل خيوط الحب الخالص تغزلها ثوباً
تهديه إليك! رحت تخيرها بين الأمر ونفى الأمر بعد أن اخترت
الوقت الضائع وأوصلت دون إرادتها طريق الرجعة!... أعرفها تلك
اللعبة... وتعرفها أنت...

- تظلمنى وأنت صديق؟..

- بل أواجهك لأنى صديق! ... صدقنى أنت لم أعرف عنك
قدما هذا الجبن! ...

- ما أفعله الآن هو ذروة الشجاعة! تعرف أنى لن أقوى على
الحياة بدونها .

وتعرف أنى إذ أتركها أقتلع من أرضى كل جذور الحلم! وأعود
إلى صحراء جدباء لا تنبت عوداً أخضراً! ... تعرف أنى ساعتها
سألملم أوراق العمر المهزوم وسألقيها بيدى تشاراً على البحر ...
تتقاذفها حبيبات الزبد العاصف ...

أفعل هذا يا صديقى كى أعيد إليها طريق الرجعة .. وفرصة الاختيار ..
- ستدمرها! ناشدتك ألا تفعل! ناشدتك أن تعلو فوق
الأوهام ... ولتلق بمخاوفك إلى اليم فداء لأوراق العمر ... ولتعلم
أنك إن لم تسمعنى ... فتلك هى الهزيمة ...
ولم يجب ...

ولم يزد الصديق ...
علا صوت الموج الصاخب ... وصراخ النورس ... كانت الليلة
قد انتهت وأطل صباح!
كلمات من دفتر قديم :

«ربما تجمعنا أقدارنا ... ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خله ... تلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غاية .. لا تقل شئاً فإن الحظ شاء

«إبراهيم ناجى»

بناة!

ثلاثة أمتار فقط كانت تفصل بين مكتبة وبين مكتبها ...

حين جاءوا بها لم يكن هناك فراغ فى الحجرة غير تلك المساحة
التي تواجهها أسفل النافذة ... فوضعوا مكتبها هناك ... ووضعوا
بجواره حامل ملفات طويل احتل جزءاً من فراغ النافذة ... ذلك
الجزء بالذات الذى كانت تطل من خلفه الفروع المزهرة لتلك
الشجرة دائمة الخضرة ...

حققت عليها وكرهها منذ اليوم الأول ... وبمجرد أن انصرفت
لشأن من شئونها حتى انفجر فى وجه باقى زملاء الحجرة يحتج
ويستثير فيهم الغضب .. لكن أحدهم - ذلك الأعجف ذو الوجه
الذئبى - تسلل خلف أذنه ليهمس له :

- هى «قريبة» المدير العام ... فلا تزدا! ..

حملق فيها لحظة رجوعها ... وأدهشه ماتمتع به من جمال!

أدرك أن معركته خاسرة قبل أن تبدأ... فهي ليست فقط قريبة المدير العام... فجمالها أهم!... وسيجعل كل الزملاء، في صفها... خاصة ذلك الذئب المتربص الذي يجاوره ويتقدم عليه وظيفياً ببضع سنوات...

همست له ذات صباح :

- كلهم عرفوني بأنفسهم... إلا أنت!

لم تكن كلمات... بل هي على الأرجح «زقزقة» كنارياً تتراقص على شفاه تفتت عن بسمة تشرق كشمس ربيعية!..

نظر إليها ببلاهة لم يتعمدها... وحين اتسعت ابتسامتها... ضاقت مسافة أخرى بين حاجبيه وسمع صوتاً أجشاً يخرج من حلقه :

- حضرتك قريبة المدير العام؟

- حضرتي زميلتك!..

أحنقته المناورة فأصر على سؤاله : حضرتك قريبة المدير العام؟..

غرد صوتها واهتزت في نبراته توترات ضحكة مبتورة :

- وافرض!؟

كان الجواب «الكلمة»! مليناً بالتحدي... أنساه للمحطات كل المحاذير التي لا يحق لأي موظف صغير تافه أن يتساها...

- إذا فأنت غير مضطرة للجلوس معنا في نفس الحجرة! يستطيع قريبك أن يضعك في حجرة خاصة... حجرة لا يشاركك فيها

أحد... بل يمكنه أن يضعك في مكتبه هو... ذلك المكتب الواسع الذي يمكنهم وضع مئة موظف فيه ولكنهم لأسباب حمقاء وضعوا فيه رجلاً بمفرده لجرد أنه المدير العام... انظري يا أنسة... لقد وضعوا أشياءك أمام عيني مباشرة... أخفوا نصف النافذة... منعوا عني رؤية تلك الشجرة... وهي ليست كأى شجرة... فهي دائمة الخضرة وزهورها تتلون وفقاً لأوقات اليوم فهي بيضاء في الصباح... زرقاء في الظهيرة... ثم تحمر عند الغروب... أرجوك... كوني طيبة واتركي هذا المكان... ولا تعتمدى على نفوذ قريبك... فالشجرة ترفضك... وبالأمر القيت عليها نظرة... فوجدت خضرتها قد بهتت... وزهورها لم تتكون... وهذا يعني أنها غاضبة... وقد تفكر في الانتقام منك... قد تمد فروعها عبر النافذة وتلفها حول عنقك... وقد حدث هذا مرة... بل عدة مرات في الحقيقة... أنا لا أريد أن افزعك ولكن...

- اشرب قدح الشاي والا سيبرد...

التفت إلى زوجته كانت تحلق فيه عابسة :

- تكلم نفسك؟..

همس قبل أن يرشف الشاي..

- أحياناً...

كلمات من دفتر قديم :

ذروة ضعف الإنسان حين ينتقم.. وهو يقوى على الصفح

وذروة قوته حين يصفح.. وهو قادر على الانتقام.

هبة

لحظة صدق كان يدين بها لها ...

كثيراً ما حاول أن يصل لتلك اللحظة .. ولكنه فى كل مرة كان
يجبن ويتراجع ...

فى الطريق أميال طويلة تفصل الإنسان عن السموم وقهر الذات
والتوحد مع الحقيقة ... فهو مخلوق محب لنفسه ينشترق داخل
جلده ولا يستطيع أن يشقب الشرنقة ويفلت من داخلها ليصبح
فراشة ملونة .. هو لا يريد أبداً أن يحترق فى وهج الآخرين ...

لم يكذب عليها يوماً ... ولكنه أخفى عنها الكثير ... وإخفاء
الحقيقة هو الوجه الآخر للكذب .. ضيع الفرصة فى بادئ الأمر
حين كانا على الشاطئ ... لم تبتل أقدامهما ولم يجرفهما التيار
إلى لجة الارتباط وتبادل الاعتماد ...

كان يخشى لو صارحها أن تهرب ويفقدها!

«ماذا كنت تريد؟» سأل نفسه مراراً وأعياء الجواب .

أطل داخل أعماقه وهاله ما رأى ...

الأنانية وشهوة التملك ... أن يرتبط به الآخرون ويبقى هو
حراً ...

ورأى الضعف والعجز ... فشل دائماً فى امتلاك زمام المبادرة
واتخاذ القرار فى اللحظة المناسبة والتقدم خطوة نحو ما يراه هو
نفسه الحق والصواب .. تأخر القرار طويلاً وحين وصل إليه كانت
مرحلة الأمان قد أفلتت . فهاهى تتخلل كل جزئيات حياته وتدور
حول محوره ... وقد حرقت وراءها كل السفن ... ولا بد إذا
واجهها بالقرار أن تتحطم حياتها وتتحول إلى أشلاء جريحة بكل
معنى ... كان يعرف ... ولكنه لم يجد مفراً ...

التقاها فى الموعد ...

كان قد أنبأها فى الهاتف أن هناك قراراً خطيراً سيبلغها به ..

ظلت تنظر إليه وعيناها تطرفان بتوجس يخفى وراءه فى
الحدقتين خوفاً داكناً رهيباً ...

وظل هو صامتاً ... لم يحاول أن ينظر فى عينيها ... حتى أتاه
صوتها ..

- أهى النهاية؟

أجفل وقد تلقى ضربة عنيفة من حيث لم يتوقع! (أكانت
تعرف؟) .

- بعد أول شهر ... حين أنكرت وجودك وادعيت السفر ولقيت
صديقك بالصدفة ليخبرني بأنك لم تسافر وأنت كنت معه في
نفس اليوم .. وأتاها صوته متحشراً كأنما يأتي من جب عميق ..
ولماذا واصلتى اللقاء رغم هذا ...

ضحكت وشردت إلى بعيد ...

- أحبتك والمح لا يصدق إلا ما يتمناه ... التمسيت لك
عشرات الأعذار وأفنعت نفسي بوجاهة أسبابك ... حتى رأيت
في عينيك منذ أيام قرارك الذي تريد أن تبلغني به .

نهض .. وسار قليلاً ثم التفت إليها وعلى وجهه ابتسامة لا
يعرف هو حتى الآن سببها ..

- أنت مخطئة .. فقرارى على العكس تماماً ... أريد أن
أتزوجك ..

أحنقه أن تكتشف أعماقه فتزوجها ليثبت لها العكس .

كلمات من دفتر قديم :

ولولا الهوى ما ذل مثلى لمثلهم

ولا خضمت أسد الفلا للثعالب

«عنبرة العيسى»

فراق!

طفرت من عينيها دموع العجز ... كان الأمل الباقي يفرّ من بين
أصابع كفيها ... كأن القبضة تدخر لما بقى من العمر حفنة ماء ...

وكان هو يذرف دمه داخل حلقه يتسرب إلى الجوف المرتجف
كجرعة سقراط ...

جاءت لحظة تنفيذ الحكم وعليه بلا شكوى أن يتجرع كأس
السم ...

وقد حمل الكلمات على كتفيه طوال نهار ... درب نفسه ...

لن أنظر في عينيها ... سألقى حملى ... وأغص بدمعى
وأخمش بأظافرى كل جروحي ... ثم أمضى ... وتمضى ...
بعضاً من أيام نحشوف فيها جراح الصدفة والأعين المفقومة وأشلاء
كائنا الجميل ... بملح الصبر ... وننسى ...

وها هو قد قال ... لم يتراجع ... اعتصر مزيج الحزن والتجمل
والمهانة ليخبرها أنه خسر معركتها ... واضطر لرفع رايات التسليم ...

في بدء الأمر ... والحب وليد لم يقطع دون الأحلام ...
كانت تتنبأ ... وأسرت إليه بمخاوف حرب تدهمها ... تجتاح
قلاع الحب ... تحتل بقاع القلب ... تطرد كل فلول الأحلام
الجوعى ... تسقط ألوية الـ«نحن» ... وتغرس بدلا منها رايات
الـ«هم» ...

يومها غضب عليها واتهمها بعدم القدرة على تحمل مسئولية
الاختيار ...

حدثها كثيراً عن قوة إنسان يختار ويدافع دوماً عن اختياره ..
كانت تبسم بشك ... ثم تأمن إلى وعود القوة فتنام ملء
جفونها ...

ولم يكن يكذبها القول ...

كان فقط مجرد حال ...

حمل سيوفه ورماحه ودروعه ... ونزل إلى الميدان ... ولأول
وهلة خسر الحرب ... لم يقو على النظر في عيني من أبكاهم
إنذار الرحلة ... نفس الرحلة التي اعتبروها أرضاً مملوكة ...
فدانت إلى ملكة أخرى ... اقتحمت أرض الفارس وجردته من
نبل الفرسان ...

كان عليه أن يختار ...

أن يشقى ويشقىها ... ليسعدوا هم ...

أو يرتويا معاً من نبع الماء الحى ... وليزفوا هم كل الدموع ...
ما كان لرجل مثله أن يختار ... وقد ولد مجرداً من كل حقوق
الاختيار هكذا قرأ سطوراً منقوشة على جبينه ... وكانت هى
المرأة ...

نقتات الحزن ونحيا ... أشباحاً وظلالاً وخيالات ... ونهجع
على سرير الشوك مع الذكريات ... لولا بعض مرارات الإحساس
بالخذلان ...

تبادلا الاتفاق دون كلام ... وأغمضا عيوننا لن ترى انتاهما
الأخرتين إلا فى غيش الماضى الذى لم يصبح مستقبلا .

كلمات من دفتر قديم :

إذا كان الإنسان لا ينزل النهر

مرتين ... لأن الحياة تتجدد ... وتجدد

الحياة خطوة لفناء محتوم .. فعليه

أن ينزل النهر ولا يخرج ..»

«برنارد شو»

... طوال عمره وهو يتلقى دروساً من الآخرين ... وكلهم
يتهمونه بأنه غير قادر على تحمل المسؤولية
... أية مسؤولية؟ ...

ألا تكفيني مسؤولية نفسي حتى أحمل فوقها مسؤولية
الآخر؟ ...

... في أيام الفراغ يتوقد شوقاً للحب ويتحرق لهفة لممارسة
الشجن وتذوق الدمع وارتشاف الرحيق ... ويعدو لاهثاً يبحث
عن شباك يلقي بنفسه فيها راضياً مستمتعاً ...

أيام وينازعه الآخر مقود أمره ... وتبدأ المأساة دائماً بتلك
الأسئلة : أين ذهبت بالأمس؟ .. وإلى أين تذهب اليوم؟ ومن
كنت تحدث في الهاتف؟ ألم يكن هاتفك منشغلاً بتلك المكالمات
الطويلة؟ .. لا أصدق ... صارحني بالحقيقة : من هي؟
... يريد أن يخلو إلى نفسه أحياناً ...

(ليس معنى الحب أن يشاركك الآخر كل لحظة) .. ويريد
أحياناً أخرى أن يتسامر مع أصدقائه ... يضطر للكذب عليها
واختلاق الحجج والمعاذير ... اتكتشف الكذب فتحاكمه : لم
كذبت علي؟ ... وإذا كان الأمر بهذه البساطة فلم لا تذكر
الحقيقة؟ .. وما أدراني أنك لا تكذب في كل شيء ...

حسناً ... لم لاتدعيني أكذب!؟ الكذب يا صفيرتي
لصالحك ... دعيني أكذب وأحمل مشاعر الذنب فأعرضك
عنها ...

تبردا

حتى مطلع الفجر في الرابعة صباحاً .. كان مدللها ...
مدنفاً ... يعيش قصة حبه الأخيرة في قمة عنفوانها ... وفي
الصباح لم يعد كذلك!

لا يعلم ماذا حدث في السويعات التي أسلم نفسه فيها
للغفوة ... هل كان حلماً أم كابوساً أم بعض من إلهام! .. فلم
يستطع أن يتذكر ...

كل ما أحس به حين استيقظ كان صداً رهيباً يفتت كل ذرة
في رأسه ... ومراة تملأ حلقه بطعم الخنضل ... وغشيان يمل
يغشاه لدرجة الإغماء .. وفكرة ثابتة تسيطر عليه :

لقد مللت .. مللتها ومللت الحب ... ومللت انشغالي
بغيري ... أريد أن أسترده حريتي ..

... الحرية ... ترى أهى كلمة السر؟ ..

يحس بالاختناق ... يكرهها للحظات ... ثم تغلبه
دموعها

ثم كانت لعبتها الخطيرة بالأمس!

تعمدت أن تقف وتتحدث مع ذلك الذى تعلم أنه يكره ...
وضحكت معه لتسمعه ... كان يعرف اللعبة ومع ذلك التهمت
دماؤه فانقض عليها ليسحبها من معصمها فى خشونة ويمضى بها
بعيداً ... احتجت ولم يأبه لها ... حاصرها ... وضيق عليها
الخناق ... هدها بأنهما قد وصلا لمفترق الطرق ... بكى
وانهارت ... لذعته دموعها وجردته من كل أسلحته ... فراح
يسترضيها ويربت على مشاعرها بكل مقدرة على الحب ...
وتركها وهى تحس بنشوة انتصار كاسح وقد أحست بأنه أضحى
ملك يمينها ...

وها هو قد استيقظ فى الصباح مروراً .. يعانى من اللل
والضجر ...

كره الحب الذى كان وقرده عليه ... ليستعيد الرجل القديم ...

وقبل أن يرشف قهوة الصباح ... طلبها بالهاتف ..

أقرأه صوتها الخملى الناعم تحية الصباح بلهجة من تذكره بأنها
قد امتلكته للأبد ... ضحك فى استمتاع ثم قال :

- لن أوافيك فى موعدنا اليوم ..

- إذا فإلى الغد ...

- ولن أستطيع غداً ..

- إذا فمتى ؟ ..

- وداعاً .. !

وضع سماعة الهاتف وتناول فنجان القهوة .. رشف رشفة ثم
ملأ صدره بشهيق عميق ... وقد أحس بأنه يستطيع أن يفعل أى
شئ فى أى وقت .

كلمات من دفتر قديم :

لاتقل الحقيقة للسعداء ...

ولاتكذب على المحزونين ...

ففى كلا الحالتين لن يصدقوك!

ما كانت طفلة ... كانت تلك الغادة ... يسربلها شال
أخضر ...

... تقف برابية صخرية ... تحت الشفق الأشقر ...
لا أذكر غير العينين ...

فأنبش كل خلايا الذاكرة السمراء ...
أتعثر في أزمان منسية ... أتوقف ...

أعصر أعماقي ... استنهض كل ذكائي ...
أبحث عن مرآتي ... أتلمس فيها رسومي المفقودة ..
فقدما كنت أصور رحلاتي ...

أطبعها في الصفحات البيض ... أوقعها ...
أكتب اسمي فوق الوجنتين ... وأحكي ...
حين أعود ...

أجمع كل رفاقي ... وسُمّاري ...
أنادمهم وأسائلهم ...
من كانت؟ ...

أشحذ منهم اسماً ... أو بعضاً من صورة ...
تجعل للرحلة معنى ... تملأ سلتها ذهباً ...
أو وهماً ... أو كسرة خبز ...

زاد!

أحفر في ذاكرتي ... أنفض عنها غبار الأسفار الطويلة ..

منذ كنت السندباد ... وخرجت لأعلى البحار ...

وأكملت الرحلات السبع ...

وحتى رجعت وألقيت المرساه ... وحططت رحالي بشط
الغريب ..

وأنكرني أهلي ...

أبحث عن وجه واحد لا ينكرني ..

وجهاً كان بذات الشط يودعني ... يوم بدأت الرحلة ...

وبمנדيل أبيض ... يلوح لي ...

حين طوتني اللجة ...

عينان لطفلة ... كلا ...

نعطينى لحناً للأشعار... حتى أرويها
ويصدق أهلى أن غنائم أسفارى... عادت
كنز لا يفنى...!
وحكايا كآساطير المدن المسحورة...
... لكنى عفواً...
لا أذكر شيئاً...
غير العينين...
وبعض الكلمات المبتورة...
وعصا الترحال المكسورة...
روشماً فوق ذراعى...
لوجه الغادة... دائرة تتوسطها عينان...
ونقطة دمع محفورة...
كلمات من دفتر قديم:

فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها

على فلن تحموا على القوافيا

«قيس بن الملوح»

ليس!!

«لم يكن يعرفها... لم يرها قبل اليوم...
ولكنه ما إن فتح الباب ووجدها أمامه حتى أصابته رجفة...»
هكذا تبدأ السطور الأولى فى قصة عادية تتحدث عن موقف
غير عادى! وكان ببساطة يريد أن يفجر فى بداية سطره ما تفجر
داخله... ذات صيف من أعوام مضت...
«عظيم... هذا أفضل... ذات صيف من أعوام مضت...
تلك بداية أكثر جمالاً، وأمسك بالقلم وكتب العبارة التى
أعجبته... وكاد يسترسل ولكنه توقف... بأى ضمير يكتب؟
بضمير المتكلم أم بضمير الغائب؟ الأصدق أن يكتب بضمير
المتكلم! فهو وإن كان يكتب قصة سرف تنشر إلا أنه يحكى ما
حدث له... ولكن...»

هل الأصدق هو الأجمل؟ ...

قالوا قديماً أن أكذب الشعر هو أجمله ... والفن يغاير الواقع
ليكون أجمل إذا فالأفضل أن يكتب بضمير الغائب ...

سيقول «هو» و«هي» ... أجل ... لن يعطيها اسماً! وصرخ
صوت في داخله «اكتب أى شيء ... فقط اكتب» .

ترك العنان للقلم فكتب :

... وقف أمامها مسمراً لا يدري ماذا يقول أو يفعل ... رآها
تخطو مع إغفاءة الليل وصحوة الفجر ... وادهمه احساس جارف .
بأنه يالفها وكأنه عايشها عمراً ... تأكد فيما بعد من ظروف
انتقالها الجديد وتأكد من استحالة أن يكون قد لقيها أو رآها في
ماض قريب أو بعيد ولكنه لم يستطع التخلص من يقين آخر
بداخله ... هو يعرفها ... يأنس إليها ... يربطه بها إحساس من
لقى أهله بعد طول فراق ...

كلا .. أصبح السرد تقليدياً!

لماذا لم يلجأ إلى وسائل القص الحديثة؟ .. هناك نيار الشعور
مثلاً .. هناك تقاطع الأزمنة والأمكنة ... هناك التداعى الحر
والاستبطان ..! أمسك بأوراق ما كتب ومزقها ... لا بد أن يأت
بجديد! .. تنهد .. ونهض يصنع لنفسه قدحاً من القهوة وراح السؤال
يتراقص داخله كما يتراقص اللهب أمامه .. «وهل هناك جديد» .
أشعل غليونه ... وجلس في ركن الشرفة يرنو إلى البحر ...

البحر بدوره قديم ... البحر عجوز هرم ... صاحب القرون وما
فتن بصاحبها وهو يفعل نفس الأشياء القديمة ... يتقلب

مرجاً ... ويتمرج صخباً ... ويخرج حنقه زبداً يفور على قمم
عبابه ... هو ممثل عتيق في مسرحية لا ينتهى عرضها ويؤدى فيها
نفس الدور ...

والشمس ممثلة أخرى ... كذلك الليل ... والقمر وجوقة
النجوم ... لا جديد ... حتى هو ... يفعل ما ظل يفعله طوال
سنوات وسنوات .

فنجان القهوة ... والقلم والأوراق ... والفراغ الذى تركته في
أعماقه حين تركته ورحلت ...

حنينه إليها أيضاً قديم ولكنه يتجدد مع ميلاد كل يوم ... وهو
الآن لا يعرف كيف يبدأ قصة معها .. ولا كيف يسردها ...
ولا كيف ينهيها ...

نهض إلى مكتبه مرة أخرى ... وأعد صفحة جديدة ...
وكتب القصة كلمة ...

«هي» ... فقط ... ولم يزد كلمة أخرى ...

كلمات من دفتر قديم ...

أريد .. أريد .. ولكننى أخاف الطريق

لأنى وحيد ...

على راحتى جماجم يأسى ...

وفى مقلتى بقايا وعود ...

«صلاح عبد الصبور»

إبحار...

إليك سأعبر بحر النار... وأهتك ستر ضباب الخوف!...
إليك أشق عباب الذهب... وأصنع من لهفتى قارباً...
أنحوض به لجة المستحيل...
ولا بد يوماً أراك هناك... تلوحين عند شطوط التخيل...! فقد
رأيت بالأمس في الحلم أنى هناك...
وجدت حكيماً يشير إلى فأقبلت نحوه... لثمت إزاراً يحيط
بجسد نحيل... فهش لى ومسح بيد رفيقة على رأسى...
- إلى أين مسيرتك يا بنى؟...
أجبت وغصّة دمع فى حلقى: أدور حيث أنا... توهمنى
خطواتى بأننى أسير ولكنى دوماً أعود إلى حيث بدأت... حتى
تخور قواى فأسقط فوق الرمال...
تبحث عما تريد... وعيناك لا تراه... ولكنه ماثل أمامك

على بعد خطوة...

تلقت حولى... فماذا وجدت...

رأيتك فوق رموس الزيد... تخطرين كمروسة بحر...
ورأيتك فى نغم الأشجار... جمّارة نخل مكنونة تختزن
رحيق الصبر...
ورأيتك فى دالية البستان حبة كرم... تقطر فى قنينة عطر...
ورأيتك فى نجمة فجر... وفراشة ترقص فوق شفاه الزهر...
ورأيتك فى كفى خط العمر...
لكنى لم أجذك فسألت حكيمى فقال: لقد أخطأت الشط...
وحيد استيقظت صباحاً... كان الشوق المبرح يدفعنى نحو
البحر... قال الصياد الشيخ:
- لم تبق هناك فوارب! حطمت العاصفة العاتية كل ما يركب
الأمواج... حتى الفتيان!..
وبقيت عجوزاً لا أقوى على الإبحار...
... طائر نورس لظمته الأنواء...
ألفته جريحاً فوق الصخر...
بجوارى جلست إحدى فتيات الماضى!... أعطتها الذكرى
عنوانى...
كانت تبتسم فى سخرية مرة:
- مازلت تجوب فيافى الأرض بحثاً عن وهم...

- وهل كنت وهماً؟

- ماذا تراني؟

- أنا لا أرى سواها!

- فاين هي؟ .. أليست بعضاً مني ... وبعضاً من غيري؟ ..

- هي لا تشبه واحدة منكن ... أنتن الأمل ... وأنا أبحث
عن غدا! ..

... أبحث عنك ...

أنت إبحاري الأخير ... وجزيرتي ... وسفينتي ...

أنت فناري ...

ضوءك ينقلب من أجلي وحدي ... يرشدني ... يهديني ...
إليك ...

فلأبحر ... ولنتظري هناك عند الشاطئ ...

فقريباً ... وقريباً جداً أفاكي ... وأغمض جفنين
احتضناكي ...

وأكون أخيراً .. قد أبحرت ..

كلمات من دفتر قديم :

دومي على العهد مادماً محافظة

فالحر من دان إنصافاً كما دنيا

«ابن زيدون»

برّة!

لم يصدق نفسه حين انغلق باب المصعد ووجده أمامه ... الرجل
الكبير شخصياً ... رب هذه المؤسسة الضخمة التي يعمل بها ...
انغلق المصعد عليهما ... هما فقط! ... اختلس نظرة سريعة
ليتأكد من ملامح الرجل ...

«هو» بلاشك! ولكن ... كيف جاء إلى هذا المصعد ... وله
مصعد خاص لا يستخدمه غيره ... يصعد به مباشرة إلى مكتبه
الضخم ... وغمغم لنفسه بدون صوت «ربما تعطل!» ..

لم يلق إليه الرجل الكبير بالاً ... فهو غالباً لا يعرفه ... بل
قطعاً ... فهناك غيره عشرات الموظفين أقرب منه لموقع الرجل ...
والدليل على ذلك تلك النظرة العابرة التي رمقه بها حين دخل
المصعد خلفه ...

(... نظرة تخترقه إلى ما خلفه ولا تتوقف لحظة عنده ..

لماذا لاتعرفه بنفسك ... هاهى فرصة سانحة تشرح له فيها شكواك وتطلعه على تلك التصرفات الكريهة لرئيسك المباشر ذلك الرجل الفظ الذى أحاطك بالجحيم من كل جانب ...)
حين استجمع شجاعته ترف العرق غزيراً من كل مسام جسمه ... ولكنه لم يتردد ...

- سيدى المدير العام ... عمت صباحاً!
أوماً له الرجل إيماءة فرساء (لم يعن حتى بالرد عليه) ...
ولكنه واصل ...

- أعمل فى القسم الخامس بالمؤسسة التى تشرف بقيادتك ...
نفحة نظرة عابرة أخرى ثم أشاح عنه ...

- يضطهدنى رئيسى المباشر لحرصى على صالح العمل ولماولتى التصدى لتجاوزاته وانحرافاته ... إنه رجل شرير لا ضمير له ...
التفت إليه ... وحده نظرة صارمة مستنكرة ...

- لاتنظر لى تلك النظرة ياسيدى استمع فقط لشكواى وستقدر بنفسك مدى حقارة هذا الرجل الذى لا يتورع عن سرقة مال المؤسسة! ...
- اخرس!

أطلقها الرجل الكبير كعبوة ناسفة انفجرت فى وجهه وجعلته يترنح مرتطماً بجدار المصعد ...

- أمثالك من منتهزى الفرص للطعن فى الشرفاء لا مكان لهم فى مؤسستى!

قال عبارته ثم لاذ بالصمت ... فكاد الموظف أن يجن ...
- ليس هذا عدلاً .. يجب أن تسمعنى .. عليك أن تعرف أسبابى ..

- لن أسمع شيئاً ... فابتعد أيها الوغد!

فى هذه اللحظة توقف المصعد ... دون أن يصل لغايته ...
ومرت ثوانى قليلة قبل أن يدرك كلاهما أنه قد تعطل ...! وراح الرجل الكبير الغاضب بشدة ... يضغط على زر الاستغاثة ويتحدث فى تليفون المصعد دون أن يجيبه أحد ... وتقاطرت على جبينه حبات العرق ... وبدأ الهلع يتملكه ... أما الآخر فقد جمد مكانه وفى خاطره تتراقص تساؤلات فكهة : «الرجل الكبير صار فأراً ... هاهو يتوتر ويتنفض ويدق جدران المصعد بيديه طالباً النجدة ... كم يبدو مضحكاً ... وقد ظهر على حقيقته ... مجرد فأر فى جلد غمر ... فلتضحك منه ... لم لاتثار لكرامتك وقد أهانك نعتك بالوغد . وانهمك بالانتهازية؟ » ..

وانطلق يضحك .. حمله فى الرجل الكبير بذهول .. وهو يغمغم :
- تضحك؟ .. ولكننا قد نموت ...

- ستموت مرعوباً ... وأموت أنا ضاحكاً ...

وبعد ساعة ... حين فتح رجال الإنقاذ المصعد ... كان الرجل الكبير مكوماً على الأرض وقد أصابته نوبة ربما قضت عليه ...
وكان الرجل الآخر يضحك ... ويضحك ... ولا أحد يعرف متى كف عن الضحك ...

كلمات من دفتر قديم :

لم يتعلم الإنسان كيف يضحك

إلا حين اخترع المرأة ..

«جورج برناردشو»

فدود!

ارتشف تلك الرشفة من كوب العصير الثلج وكأنه يقبل حافة الكأس... كانت قطرة واحدة تكفى مثل لثمة على الجبين أو مفرق الشعر...

وأحاط القدح الزجاجي الذي غطته ضبابية شقافة تشى بقطع الثلج التي تملؤه... بكفيه في احتضان حميم... كانت تلك ليلة من ليالي «حزيران» الساخنة... توغل في تقدمها نحو الفجر... الذي بدأ ينبى عن قرب مقدمة بنسمات غير منتظمة تحمل مع عطرها بعض من رائحة البحر...

وكان الحديث بينه وبين صديقه قد اتصل منذ الأمسية ولم ينقطع... ظل يدور حول محور واحد... كلما بدا أنه يقترب من النهاية كلما قفزت نقطة جديدة تعيده إلى البداية... وفي هذه اللحظات التي سادها الصمت إلا من صوت رشقاتهما المتبادلة... كانت تقطية الجبين تنبى بالاستعداد لقفزة جديدة...

- تعرف ماهي غلطتها الكبرى؟...

ولم يجب الآخر لأنه كان واثقاً أن صاحبه سيرد على السؤال بنفسه...

- لقد تصوّرت أنها أكثر ذكاء مني!.. وأبادر فأعترف لك أنني من شجعها على هذا التصور!

لأننى رفقاؤها أو مجاملة... أو لرغبتى فى ممارسة اللعبة معها... تركتها تنتصر فى أول معركة خططها لها ذكاؤها... وحين لمحت ابتسامة الفوز فى عينيها ابتسمت بدورى فى داخلى... أحسست كمن يراقب طفلاً يحاول أن يتخايل ليختلس قطعة من الحلوى وهو يظن أن أحداً غيره لا يراه... وحين خططت لمعركة أخرى منحتها مرة أخرى متعة الانتصار...

- وأيضاً تركتها فى الثالثة ثم الرابعة!... أليس كذلك؟...
أوما برأسه موافقا وهو يشرّد بعينه إلى التغير الذى بدا فى لون الأفق... حيث بهت السواد وخالطته زرقة فجرية رفيقة...
- جعلتها بعد تكرار انتصاراتها الزائفة تؤمن بذكائها... وتتصور بما أنى الطرف الخاسر فى المعركة كل مرة... أن ذكاءها يتفوق على ذكائى... بل لعلها أيقنت فى أعماقها أنني إنسان سليم النية لا أملك القدرة على المكر أو التخطيط...
- المسكينة!!

ضحك صاحبه فضحك معه .. وحين كفّا عن الضحك ...
بقيت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يستنرد ...

- لا أخفى عليك أنني كنت أستمع بمراقبتها من وراء
ستار ... وأتابع خطواتها في التمهيد وإعداد أرض المعركة التي
تريد أن تخوضها ... ثم في بدء التنفيذ بحذر ... ثم أسلوبها
المباغت في الهجوم بعد أن تكون قد اطمأنت لنجاحها في نزع
سلاحى ... وأخيراً إقدامها على الضربة الأخيرة التي تحقق بها ما
تريد ... صرت أتوقع كل خطوة ... ثم يصدق توقعى ... حتى
مللت وأضجرتنى الأمر كله ... واستقر رأيى على أهمية أن ألقنها
درساً تكف بعده عن المحاولة وترتد إلى معرفة حجم ذكائها
الحقيقى ... فانتظرت حتى لاحت فى الأفق بشائر معركة
جديدة بدأت تخطط لها ... كانت هذه المرة بعد ما اكتسبت من
ثقة تريد أن تخطو خطوة واسعة ... ولكنها كانت خطوة خطيرة
لأنها تتعدى الحدود ...

- أى حدود تقصد؟ ..

- أقصد حدود المنطق والاحتمال ... تلك الحدود التي تنقل
من يتعدها إلى الأرض المشتعلة بالنيران لقد تراءى لها بصاحبى
أن تعزف على وتر الغيرة ..! ولم أكن لأسمح بلعبة من هذا
النوع ... وعرفت أنها قد رتبت الأمور بحيث أتوهم أن هناك
«آخر» ... وأن هذا الآخر يحبها بجنون وينثر فى طريقها الدر ...
والماس ... والذهب ... وأنت تعرف ماذا تريد المرأة من لعبة
كهذه ...

- طبعاً ... أن تسارع بالخطوة الأخيرة التى تحسبك متردداً
فيها! ..

- تماماً ... ولكنى تربصت ... حتى أقدمت على الخطوة
الخطأ ... حين تعمدت أن أراها معاً فى تلك الحفل التى
أقسمت بإلحاح - يشى برغبتها فى ألا أصدقها - بأنها لن تذهب
إليها ... ولم أتردد لحظة أسرع إليهما ... وواجهتها بأنها قد
اختارت ... وهنأتها على اختيارها ... ثم انسحبت ... أما ما
بقى فأنت تعرفه جيداً ...

- أصاب الوجوم صاحبه فجأة ... وقطب حاجبيه ... ولم
يستطع أن يبتلع سؤاله حتى لا يخلص به ...

- ولكن ... يا صديقى العزيز ... إذا كان هذا قد حدث كما
تقول ... فلم تزوجتها؟

- ... كان الفجر قد احمر بميلاد شروق مباغت ... وساد
الصمت بينهما ... بينما علا صوت البحر .

كلمات من دفتر قديم :

يكذب الرجل وقد يعترف أنه يكذب

وتكذب المرأة وقد تعترف أن الرجل يكذب ...

فطاب

سيدي المدير العام . . .

ستجد هذه الرسالة في بريدك الخاص ذات صباح . . .
وستقرؤها بينما تحتسى فهوة الصباح التي ترشفها ببطء وتلذذ كما
هي عادتك . . . ولكنني أشك في أن تكمل فنجانك لأنك
ستغضب . . . وربما أطحت بقدرح القهوة . . . وتناولت قرص ضغط
الدم . . . وربما فكرت للحظة في تمزيق الرسالة أو حرقها . . .
ولكنك ستتردد ثم تتراجع . . . فستنتابك رغبة ملحة في أن تعرف
من كتبها خاصة وأنا لن أوقعها باسمي . . .

نقول لنفسك أن من يحجم عن توقيع رسالة كتبها لشيء غير
جبان مرنور لا يجد في نفسه الشجاعة لتحمل مسؤولية ما
يفعل . . . ولن أنكر . . . فأنا بالفعل لا أملك هذا النوع من
الشجاعة الذي لا بد وأن يدفعك للتكيل بي واضطهادي وربما
تأمرت لفصلي والقائي في الشارع . . .

وقد جبت طويلا وترددت . . . وكتبت لك عشر رسائل سابقة
ولكني مزقتها جميعا أما هذه المرة فهناك دافع قهري يسيطر على
عقلي ومشاعري ويدفعني دفعا لكتابتها وأعتقد أنني لو أحجمت
فلن يهنأ لي عيش أو يهدأ لي بال . . .

فلا بد من أحد يصدقك القول! تلك مسئولية أخلاقية لا
أستطيع الهرب منها . . . وأنا أرى كل يوم صفوفاً من المنافقين
تنتظر أمام مكتبك . . . وأسمع عبارات الملق والمراهنه التي يصبونها
في أذنك كل يوم . . . وتتلقاها أنت بوجه مشرق وابتسامة عريضة
بما يشير إلى أنك تصدقها . . . وهذه هي الكارثة التي حتمت على
أن أكتب إليك لأضع مرآة الحقيقة أمام عينيك ترى فيها نفسك
على حقيقتها . . .

أنت ياسيدي وبلا منافس أسوأ رئيس عمل شهدناه طوال
سنوات عملنا بهذه المؤسسة . . . ربما كنت رجلاً طيباً . . . تلك
مسألة أخرى . . . ولكنك لاتفقه شيئاً في دقائق العمل وخباياه
وأسراره . . . وأخطاؤك المتتالية في إدارة المؤسسة هي حديث الجميع
وكلما اجتمع منهم اثنان فهما لا يجدا ما يتحدثان فيه إلا نوادر
جهلك وغبائك . . . والجميع كما ترى يلقبونك بالإجلال
والاحترام حتى تدير ظهرك وتبتعد فتبدأ الغمزات واللمزات
والضحكات الساخرة والتعليقات المسمومة . . .

وأنت ياسيدي لاتعرف مرءوسيك ولا تجيد الحكم عليهم . . .
ودائماً تقرب الفاشل وتكافئه . . . وتبعد القادر المتمكن . . .
مقياسك الوحيد هو مدى ما يتمتع به الموظف من قدرة على تملقك
وتوفير الخدمات الخاصة لك . . .

كما أنك ياسيدى تفتقر إلى حضور الشخصية ... والقبول ...
لأنك ... ولتعذرنى ثقيل الظل ... وثرثار ... ولا تتمتع بأى قدر
من الثقافة ... ومحاولاتك البلهاء للنظر تدعو للرثاء ...
ولعلك تذكر يوم احتفلت المؤسسة بيوبيلها الذهبى ... وانبريت
لتلقى خطاباً كتبته لك مدير العلاقات العامة ... فاخطأت فى
قراءة معظم سطور الخطاب ... وعكست المعنى بما أغضب رئيس
مجلس الإدارة ودفعه للانسحاب من الحفل ... فجلست تعوى
وتولول وتتهم كل مرءوسيك بالغباء والحماقة ...

إن أمنية وحيدة تسكن صدر كل مرءوسيك ... وتتصدر قائمة
أحلامهم ... أن يصبحوا ذات يوم فيقرأوا خبر استقالتك أو
إقالتك ... أو نعيك ...

سيدى المدير العام ...

توقف القلم فى يده وقد أحس بالنعاس يتقل أجفانه ... وقال
لنفسه : سأكملة غداً ...

... ونهض إلى فراشه ... كان يعرف ... أنه لن يكمله
أبداً ... مثل عشر خطابات سابقه كتبها وأجل تكملتها إلى
الغد ... ولكنه كان يحس بالراحة والسلام ... عقب كل مرة ...

ويغمض عينيه وابتسامة عريضة تتخيل على وجهه ...

كلمات من دفتر قديم :

«لا تطعن عدوك فى ظهره

نقى خلفك كثيرون ...»

مثل صينى

كانت ...

كانت !!

طرقت باب دنياه ذات صيف! ...

... صيفه كان ككل الفصول التى تمر به ... مجرد أيام ثناء
متسكعة لتضيف إلى سنواته عاماً فعام ...

فى الشتاء تلزعه البرودة فيتدثر ... وفى الربيع ترمد عيناه
وتخفق الخماسين أنفاسه .. وفى الصيف يعرن نهارة ... وفى
الخريف تداهمه الكآبة! ..

وكان ذاك الصيف ... خاوياً ... لا طعم له ..

حتى ذكريات الأمس البعيد وعطر الزهرة التى صوحت فى
مطلع العمر ... لم يبق منهما شئ لم يعد هناك إلا كتاب
يقرأه ... أو موسيقى يستمع إليها ... أشياء على حواف الوجدان!
لا تنشب أظافرها فى لحم الشاعر ...

كانت الحياة مجرد صورة مستعارة للأصل المفقود! حتى لقد
صارت متعته الوحيدة أن ينسلخ عن ذاته بلعبة نفسية يجيدها
لكى يتفرج على نفسه من الخارج ، وأزيد من لعبة المتعة الكاذبة
وينسج شرنقته خيطاً خيطاً حتى تظلمه كالمغارة ...

وجاءت ... تسربت كشعاع شمس ... كنسمة فجر صينية ...
بدت في اللحظة الأولى كطيف عابر ... يمرق سريعا
ويمضي ... تاركا خلفه ما تتركه إغفاءة ليلة مؤرقة ... وبقايا حلم
ينكسر في الأجفان ... ثم نوالدت اللحظة في اللحظة وتعثرت
عقارب الساعة فوقع في أسر الصدفة ...

ووجد الموجة تعلو كلما اقتربت من الشاطئ حتى تغمره
ولا تنحسر بل تتجدد حتى يعلو البدر ويسقط ... مجرد ظل
يتأرجح على وجه الماء ...

جرفته الموجة وأصابه عشق البحر ...

أعطى قلبه للأصداف ...

من حبة قلب في صدفة ولدت لؤلؤة تسقط في شبكة
الصياد ...

«يالؤلؤتى ...

ياكنزى الخارج من أعماق الحلم ...

أدفع عمري فدية أسرك ...»

يكتب في الأوراق الزرقاء بمداد البحر ...

«كانت عمري المرجأ منقياً في فلوات الصبر ...»

يكتب في الأوراق الخضراء بمداد الزهر ...

«كانت ميلادى المتحلق في رحم الآتى من أيام العمر ...»

يكتب في الأوراق الحمراء بمداد القلب ...

«كانت فرحة أحزاني الموشومة فوق الصدر ...»

وأخيرا ألقى بالقلم الكذاب ...

لم يكتب حرفاً ...

كان الورق سراياً ...

والكلمات نقشاً في هباء الصمت ...

كانت ... أو ربما كانت .. أو لعلها لم تكن .

كلمات من دفتر قديم :

«أن تواجه الرياح ولا تتقدم غير خطوة

أفضل من أن تخالفها وترجع أميلاً» .

«مثل صينى»

أنا

وحدى كنت هناك ...

فى تلك الأرض الحلم! حيث تغيب الشمس فتشرق
شمس ... ويطول نهار الأشياء ...

حيث يطوف الليل بلمحة برق فيبزع فجر ... وتذوب العتمة
فى الأرجاء ...

ويكون لقاء ...

... عند الرابية الخضرة ... ألقى فوق العشب بكل
الأصداف ... وتجيء العرافة تنظر ... تكتب فوق الأصداف
حروفاً من لغة مجهولة ... تطلب كفى ...

تستنطق من خط الحب حكايا لاتروى ... تسترخى من خط
حياتى سرا لايفشى تسألنى أخيراً عن اسمى ... أنساه ...

لا أذكر إلا اسمك ... و ...!

وحدى كنت هناك ...

عند الشرفة ذات اللون الأزرق .. وقد جاء صباح ... والليل
يفادر ... وبقايا العطر تعانق نسمة بحر يستيقظ ... قد كنت
هنا ... منذ هنيهات ...

هذا المقعد ... بوسادته الخضراء ... كان يضحك ... مازلت

أراك .. ويدك اليسرى تشير إلى ... أن أقبل ...

أقبلت .. وأقبلت .. لكنك ما كنت هناك ...

كنت كسراب ... كضباب الصبح الرابض فوق الماء ... يتبدد
تحت شعاع الشمس و ...

وحدى كنت هناك ...

لم أدرك اسم اللعبة ... لم أعرف أبداً حجم اللعبة ... لم أر
تلك اليد تخلط بين رحيق الزهر الحلو ... ومراة قطر من
حنظل ...

كنت أصدق نفس اليد ... وأعطيها شفتى ... ترشف ما
تلقاه ...

كنت أصدق ... وأصدق ...

ما أكثر ما صدقت!

رفيقه دربى لاتتحول ... لاتتغير ... لاتتركنى فى المفترق ...

لاتتركنى وحدى هناك ...

كم كنت غريباً لا أفهم لغة اللعب ... لا أفهم أن قانون اللعب
صريح ...

«لا يعتنق الصديق طويلاً غير الأحمق ...»

«إن كنت تريد الفوز فطريقك أن تكذب»

«إن تكذب تحمى ظهرك»

«وأهم من الكذب أن تدرك كذب الآخرين ... فلا تصدق»

لا تصدق ...

إن صدقت خسرت اللعبة ...

والخاسر لا يجمع أحداً حوله ...

الخاسر يبقى وحده ...

والآن فهمت بعد فوات الوقت ... أنى ...

وحدى كنت هناك ... وسأبقى وحدى

كلمات من دفتر قديم :

عش أنت ... إنى مت بعدك ...

وأطل إلى ما شئت صدك ...

كانت بقايا للغرام فى مهجتي فختمت بعدك

«بشارة الخورى»

الأساء!

أرهقتنى رحلة الأمس ... غيرتنى ... تركت بصماتها الحارقة
فى أعماقى ...

ذهبت حاملاً باقة من الزهر ... وعدت بكفين بحملان بعضاً
من ركام ... بعضاً من رماد ...

ملأت جمعيتى بأحلامى التى نسجتها مع ثوب العمر ولونتها
بزرقة البحر وحمرة الشفق وخضرة الحقول ... ووشيتها بمنمنمات
ربيعية وفراشات تحوم فى سماء صيفية ... وأعدت راحلتى التى
سومتها بسروج الفصول الأربعة ... ومضيت عند البكور قبل أن
تشرق الشمس ... وقطعت درياً لم أسر به من قبل ... لفحتنى
حرارة تموز اللاهبة ... وأبكتنى أمطار الخريف الحزينة وعصفت بى
رياح الشتاء الوحشية ... وضاع منى الربيع الوحيد الذى
أملكه ...

سقط منى الفصل فى بقعة لا أذكرها ...

ربما عند حافة جرف ... أو فى قاع هوة ... أو لعله ذلك اللص
الذى تبغنى كظلى ... وكان يضحك ساخراً كلما استدرت إليه
ورميته بنظرة زاجرة ... وقد يختفى عند منحنى طريق ... أو
يسبقنى عبر درب فرعى ... لأجده أمامى يجرى ويلقى بالأحجار
والأشواك فى طريقى ... وكلما ركضت لألحق به راغ منى فى
التماعات السراب ...

وانتصف الدرب مع انتصاف النهار ...

ولم تنهك بعد قواى ...

هبطت إلى رقعة ظل جبلية عنه شاطئ البحر ...

ظلمات ولم تروا المياه المالحة جوفى ...

تشققت شفتاى ... وامتلأت جروحي ببلورات الملح ...

رأيت فطرات دمائى ترسم خطأ خلقى ...

ومضيت أتابع سيرى ... لم أر ذلك اللص ... وحين راجعت

فصولى وجدتها قد نقصت فصلاً ...

أيقنت بأنى لن أبلغ غاية ...

فكل الغايات تشترط فصولاً أربع ...

ماذا أفعل بثلاث لا غير؟ ...

تنقص فى الدرب المحتوم علاقة ... والرحلة تقترب من شفق

قادم ..

يتبعه غسق بارد ... يتلوه الليل ... والليل نهاية ..

من يبكى اللبن المسكوب؟! ...

من يعطى الحسرة نكهتها؟ ..

من يمسح دمع الخيبة ...؟ ..

من يلقى مرثية عمر لم يحيا غير سحابة يوم؟ ..

لا أحد هناك ...

لا أحد يجيب ...

حتى الأشياء ... ما عادت توجد فى الشئ ...

حتى العودة ... كانت وهماً ... فالرحلة لا عودة منها ...

كلمات من دفتر قديم :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها

فمفترق جاران دارهما العُمر

«أبو الطيب المتنبى»

حدثتني

حدثتني الزهرة ذات صباح ...
همست في أذني بكلمة سر ...
قالت أن اليوم هو الموعد! .. لم أفهم ...
ذاكرتي كانت قد غابت عند الفجر ...
لكن الزهرة تعرف ... تتذكر ...
... في اليوم السابق كان لقاء ...
درجت أقدامنا عند الشاطئ ...
غاصت في الرمل الناعم ...
واغتسلت بمياه البحر ...
الزهرة مازالت تتحدث ...
وأنا مازلت أفكر ...
مازلت أحاول فك الطلسم ...
هل كان الأمس حقيقة؟ ... أم أنه لم يأت بعد؟ ..

أذهب وأراجع أوراقى ...
لا أجد رسالة ... لا أعثر على يوم له تاريخ الأمس ...
هل ضاع اليوم؟ ...
همست لى الزهرة! .. لم أسمع ما قالت ...
والشمس تطل ...
تتبخر قطرات كالدمع ...
تنتفض وريقات الورد ...
تعلو أصوات العالم ... وطنين النحل ...
والزهرة مازالت تتحدث ...
وأنا مازلت أفكر ...
مازلت أحاول أن أسمع ...
لكنى لم أفهم حرفاً ... غير الكلمات الأولى ...
اليوم يحين الموعد ...
موعد من؟ ... وأين يكون؟ وكيف يحل
الزهرة مازالت تتحدث ...
وأنا لا أعرف لغة الزهر ...
.....
أفتح قاموس الأشياء ...
أبحث عن لغة الأحياء ...
ماذا تقول الزهرة كل صباح؟ ..
.....
لا توجد بالمعجم كلمات ...
وهناك فقط صفحات بيضاء ..

حروف

رسمت حروفي على جبهتي ...
 وشممت بها قدرى المسطور ...
 نقشت الكلمة تلو الكلمة فوق جدار الأيام ...
 أيامي مازالت تنقص يوماً ...
 كلماتي مازالت تنقص حرفاً ...
 ويضيق المعنى في فرضي النقصان ...
 غزلت على المغزل أشعاري ...
 أصنع من أحلام الشعر حكاية ...
 أنسج فوق الأنوال حكاية حزن أتبعها بحكاية أفراح
 مسلوقة ...
 تبحث أشعاري عن أفراح موعودة ...

والأفراح سراب ...
 لكن سراب اليوم كان حقيقة ...
 والحقيقة ما نؤمن ونصدق ... ما نقرأ في أي كتاب ...
 أبحث عن أسفاري ...
 عن حكاياتي القديمة ...
 لاشيء منها تبقى ...
 لا شيء إلا بعض حروف مطموسة الخواف ...
 ورسوم باهتة الألوان ...
 عينان وخصلة شعر ...
 وزنبقتان ...
 مازالت قطرات الأمس تخضل وريقاتهما ...
 لا أذكر دمعا كانت أم بعض ثمالة ...
 فهناك الأقداح المكسورة ...
 وهناك اللوحة فوق الحائط ...
 تتوسطها عيون تدمع ومحارم مسحوقة ...
 في طرف المنديل حرفان مطرزان ...
 أولهما حرف من اسمي ... والحرف الآخر أبلته السنون لكني
 أذكر صاحبه ...

عينان بلون السندس ... والوجه كبستان الحنطة ...
وخصلة كستناء تتدلى على جبين ذهبي الكبرياء ...
بلا أسماء ...

فأنا دائماً أنسى الأسماء ...
أعرف فقط بعض الحروف ...
لا تكمل جملة ... لا تعطي معنى ...
قد تبدأ في سرد رواية ...
(كانت تمطر ذات مساء ...)

ثم يسود الصمت ... وتغرق الأحرف الخرساء ... في بحر
هباء ..

كلمات من دفتر قديم :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وينفسي فخرت لا بجودى
«أبو الطيب المتنبي»

بللورة...

رأيتها صباح اليوم ...
كانت الظلال تكتنفها قبل ظهور الشمس ... فلم تظهر إلا
حين احترقها الشعاع ...
... ومضت ... تلالاً ... وحين غادرها الشعاع ...
انفصلت البللورة عن غشائها المائي كقطرة ندى ...
ترك الغشاء يجف تحت حرارة الشمس ... واحتفظ
بالبللورة ...
أبقاها تحت جفنيه ...
... وابتسم ...
... أما هي فكانت ترمقه بدهشة ...
- ماذا يبرق في عينيك ؟ -

أو ترين بريقاً في عيني ... ؟

- كأنها غلالة دمع يابى أن ينفرطاً ...

- ربما! ..

- ولكنك تبتسم ...

- لست حزيناً ... وليست دموعاً ... لعلك رأيت انعكاس

شعاع الشمس في عيني!

- ولماذا تطبق نصف جفنيك لينعس طرفك ...

- أتريننى ناعس الطرف؟

ضحك ... ولم تضحك ...

- لست اليوم كما أعرفك! ... بك شيء لم أره من قبل! ...

- غشيتنى نفس الاحساس حين وقفت أمام المرأة لأعقد رباط

عنقى ...

- بماذا أحسست! ..

- بالبريق الغريب في عيني ...

- لا تسخر منى! ..

- لو صارحتك بالحقيقة فستسخرين أنت منى! ..

- إذا فأنت تكذب وهناك حقيقة تخشى أن تصارحنى بها ..

- الكذب كلمة مفزعة ... والأمر أبسط ...

- أريد أن أعرفه لأقدر بساطته ...

- عن البريق الذى يحيرك ... لقد لمحت قطرة ندى لحظة

ميلادها حين اخترقها شعاع الشمس ...

- وبعد؟ ..

- لاشيء ... الأسطورة تقول أن من يلحق بهذه اللحظة ...

يحتفظ إلى الأبد ببلورة الماس ... وقد فعلت ...

- متعنتة بنظرة طويلة ... أحاطت بوجهه ثم تقلصت حتى

تركزت مع ابتسامته العريضة ثم صعدت إلى عينه ... حيث

تترقق البللورة ...

نظر هو في عينيها ...

لم يكن فى دمعها شيء يتألاً ...

كانت دمعة باردة ...

ولا يتوهج فى الشتاء إلا بريق الثلج ...

كلمات من دفتر قديم :

وما أنا منهم بالعيش فيهم

ولكن معدن الذهب الرغام

«أبو الطيب المتنبى»

إسهامات في فكره

- من مواليد طنطا بمحافظة الغربية .
- من أسرة تعيش في مدينة كفر الشيخ .
- حصل على ليسانس الآداب - قسم الدراسات النفسية والاجتماعية ، في جامعة عين شمس .
- كتب القصة القصيرة والرواية ونشر في الدوريات الأدبية حتى منتصف السبعينات .
- تحول إلى كتابة الدراما للتلفزيون من عام ١٩٧٧ .
- كتب للتلفزيون ٢٦ مسلسلا و ٢٠ سهرة ، وللسينما ٥ أفلام .
- صدر للكاتب عدة مؤلفات منها : خارج الدنيا - أحلام في برج بابل - مقاطع من أغنية قديمة - الاسكندراني - ليالى الحلمية - الناس اللي في الثالث

ودار نهضة مصر أصدرت للمؤلف ثلاثة كتب هي :

أوراق مسافر

تباريح خريفية

همس البحر

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣	نداء !	٥٠
المقدمة	٥	مسافر !	٥٣
حقيقتها	٧	حماقة	٥٦
ذات صباح	١٠	فراق !	٥٩
مهاجر !	١٣	متمرد !	٦٢
طفل	١٦	زاد !	٦٦
قدر !	١٩	هي !!	٦٩
الجرمة .. والعقاب	٢٢	إبحار ...	٧٢
عام	٢٥	مره !	٧٥
عراف !	٢٨	حدود !	٧٨
شلال	٣١	خطاب !	٨٢
إعصار !	٣٥	كانت	٨٥
وعد !	٣٨	وحدى	٨٨
إلهام	٤١	لا شيء !	٩١
شذى !	٤٤	حدثتني	٩٤
خطأ	٤٧	حروف	٩٦
		بللوره	٩٩

مهدي عيسى
علي محمد

معك - عزيزي القارئ - اواصل رحلة
الوجدان ... اكشف لك فيها عن
مشاعري ... تلك التي تدب تحت
الجلد بعيدا عن واقعية - الوعي -
.. تنمو وترعرع في منطقة من النفس
لم تكتشف وتبدو كلما خطونا فيها
أشبه بالمدن المسحورة .. تحرسها
الأغوار والطلاسم ... فالنفس
البشرية مثلها مثل - طيبة -
القديمة وقد أوصد أبو الهول
أبوابها في وجه - أوديب - لا
يسمح له بالولوج إلا أن يجيب على
السؤال - الغز -

لكن لغز أبي الهول أسهل كثيرا
وأيسر مقالاً من الغارنا المستقرة
في أعماق العقل الباطن ...

إذا فلا أطمع في أكثر من محاولة
اقتراب ... دقائق فجأى على الأبواب
المغلقة لعلها تلقى صدى على
الجانب الآخر ... فتوقظ بعضاً من
الأسرار الهاجعة هناك فتوارب
الباب لينفذ منه خيط من نور ...

اسامة أنور عكاشة



نخبة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



نخبة مصر
30

